الفصل الثالث

حكومة الرفيق نجيب الله في كابل

obeikandl.com

obeikandl.com

نجيب الله الحاكم الشيوعى الرابع فى كابل:

عندما هبت رياح التغيير على الاتحاد الروسى، واستولى ميخائيل جورباتشوف على مقاليد الأمور فى روسيا الشيوعية وقرر التخلص من أنصار العهد السابق، وغير وجوها بوجوه داخل الاتحاد السوفيتى وفى البلاد التى تسير فى فلكها، وبما أن الرئيس الأفغانى ببرك كارمل كان من أنصار الحقبة البريجنيفية التى كان أبرز ملامحها المغامرات العسكرية الخارجية، جاء جورباتشوف ساعيا إلى قفل بؤر التوتر الإقليمى بادئا **بأفغانستان** منهيا بذلك الاستنزاف العسكرى والاقتصادى الذى لحق بموسكو فى **أفغانستان** وكلفها حوالى ١٢ ألف قتيل، وكان مهما جدا أن يزيح هذا الموظف البريجنيفى، وأن يكشف للروس حماقة هذا العجوز بتدخله فى **أفغانستان**، وأن يعين الدكتور نجيب الله على قمة السلطة تمهيدا للإجراءات التى كان من أهمها التفكير الجدى فى الانسحاب من الوحل الأفغانى.

وعندما قرر الزعيم السوفيتى جورباتشوف اختيار الدكتور نجيب الله ليتولى منصب الرئاسة فى كابل، وليتزعم حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى الموالى لموسكو فإن ذلك يعنى أنه يوكل إليه بالفعل مهمة صعبة تحتاج إلى رجل يتمتع بالحيوية والحركة والنشاط والقدرة على الإقناع وتحمل المشاق إلى حين حلول المرحلة المناسبة للانسحاب من **أفغانستان** وهذه المهمة الصعبة التى كلف بها الرفيق نجيب الله تتطلب شابا أفغانيا يجمع بين الحيوية والخبرة وبين الحركة والقدرة على التنفيذ معا. وقد توفر الشباب والقدرة على الحركة فى الرفيق نجيب الله الذى لم يبلغ الأربعين من عمره بعد، كما توفرت له الخبرة فى كونه موظفا مخلصا عمل

طويلا فى جهاز المخابرات الأفغانية، وكانت له علاقة مع جهاز المخابرات السوفيتية (كى. جى. بى) (**K.G.B**) ومن أبرز مؤهلاته التى ضمها ملف خدمته فى المخابرات السوفيتية أنه درس فى جامعة كابل، وحصل على بكالوريوس الطب عام ١٩٧٥م (١٤٩٥هـ)، ولكنه لم يعمل طبيبا، وإنما استمر فى عمله السياسى الذى كان قد بدأه منذ عام ١٩٦٥م (١٣٨٤هـ) حين انضم إلى الحزب الشيوعى الأفغانى. وقد كلف بعدد من "العمليات" على المستويين المحلى فى **أفغانستان**، والخارجى وراء الحدود الأفغانية، وقد قام بها جميعا بصورة جعلت ملفه الذى نشر بمناسبة توليه منصبه الجديد يتضمن عبارة: أنه قام بعمليات عديدة ناجحة على الصعيدين الداخلى والخارجى!

ولهذه الأسباب وقع اختيار القيادة السوفيتية فى قصر الكرملين فى موسكو على هذا الشاب الأفغانى النشيط الذى نفذ عمليات فى الداخل والخارج، قدمته على غيره من الشخصيات الأفغانية الأخرى التى قد تكون أكثر منه حنكة وخبرة، وأبرز منه شهرة وقوة داخل الحزب الشيوعى الأفغانى الذى ينتمى إليه. وهناك عامل آخر للترجيح له دوره البارز فى الاختيار وهو صغر سن الرفيق نجيب الله الأمر الذى يعجب سادة قصر الكرملين فى موسكو فى العهد الجديد، وعلى رأسهم الزعيم الروسى جورباتشوف الذى لم يتعد الرابعة والخمسين من عمره، وهو بمقاييس الزعامة الشيوعية فى الكرملين شاب فى ريعان شبابه جاء فى أعقاب عدد من الزعماء الروس الطاعنين فى السن البالغين من العمر عتيا! وكان من الطبيعى أن يميل الزعيم الروسى الشاب جورباتشوف إلى شاب أفغانى مثله يصغره

بخمس عشرة سنة ليضعه على قمة السلطة فى كابل، وليوكل إليه بتنفيذ هذه المهمة الصعبة إلى حين الانسحاب الكامل من الأرض الأفغانية.

وهذه المهمة الصعبة المعقدة تتطلب من الرفيق نجيب الله باختصار أن يمثل "كادارا" جديدا فوق الأرض الأفغانية المشتعلة، و"كادار" هو زعيم الحزب الشيوعى المجرى الذى تولى المسئولية الصعبة فى المجر عندما اجتاحت القوات السوفيتية بدباباتها الحربية العاصمة المجرية بودابست وغيرها من المدن المجرية، وقامت بإخماد أنفاس الشعب المجرى المسكين، وفرضت عليه بقوة السلاح الأحمر والقهر الأسود نظاما سياسيا تابعا لموسكو، بعد ذلك استطاع "كادار" أن يسيطر على الأوضاع الداخلية فى المجر المنكوبة، وتمكن من أن يخمد كل صوت حر حاول أن يرتفع معترضا على القهر والتعذيب، وأن يعتقل كل إنسان تحرك فى مواجهة القوات الروسية الغازية وأن ينفذ أحكام الإعدام فى عدد من الوطنيين الأحرار.

وهذه المهمة الصعبة هى التى فشل فى القيام بها الرفيق ببرك كارمل الذى نصبه بريجنيف على رأس الحكم فى كابل، وتوقع منه أن يحقق سيطرة شيوعية أفغانية على الأوضاع الداخلية فى **أفغانستان** وأن يعمل لحساب سادة الكرملين دون أن يكلفهم دعما عسكريا، ومساندة اقتصادية، وعونا مستمرا فى شكل متجدد.

وحينما رفع المجاهدون الأفغان سلاحهم فى وجه قوات الغزو السوفيتى الشيوعى وأتباع السوفيت فى كابل قام بريجنيف الماكر العجوز بدفع قواته

العسكرية المدعمة بأسراب من طائرات التيبولوف القاذفة المقاتلة، وطبقت برنامجا حربيا مكثفا للقصف الجوى المدمر على مناطق المجاهدين ومراكز تجمعاتهم. ومع هذا فإنه لم يحقق النتائج المتوقعة من هذا القصف الجوى، ووضعت موسكو كل الأوزار على كاهل رجلها فى كابل الرفيق ببرك كارمل الذى لم يتمكن من أن يحقق شيئا من السيطرة المطلوبة على الجبهات الداخلية فى **أفغانستان**، وفشل فى ضرب قواعد المجاهدين الأفغان فيها.

وقد عبرت الجريدة الروسية الرسمية "برافدا" عن استياء قيادة الكرملين، وعن ضيقها الشديد برجلها فى كابل، ووجهت التهمة كلها إلى الرفيق كارمل بأنه "قد حول البلاد إلى قوقعة منعزلة عما حولها من دول العالم وجعل الحزب الأفغانى الذى يتزعمه جهازا منغلقا بعيدا كل البعد عن الناس وأفراد الشعب وقواعده العريضة".

وأسقطت موسكو عن عمد أو جهل كل الاعتبارت الأخرى التى كانت سببا فى فشل رجلها، ومن أهم تلك الاعتبارات رفض الشعب الأفغانى كل وسائل القهر والتسلط التى فرضتها عليه موسكو. وحملت المسئولية كاملة لرجلها السابق ببرك كارمل الذى لم يكن إلا دمية يلعب بها فى كابل.

وإذا كان المسئول الأول عن الفشل الروسى فى **أفغانستان** هو الرفيق كارمل وسياسته المتخاذلة، وقدراته المتهالكة، واستعداداته المتهازلة، ومطالبه الملحة لأجل بقاء الوجود العسكرى الروسى، والدعم المسلح المستمر لحكومته فى كابل، فإن هذا يعنى أن الزعيم السوفيتى جورباتشوف يرى فى قدرات واستعدادات

وإمكانيات رجلها الجديد نجيب الله ما يكفى لتحقيق سيطرة شيوعية على **أفغانستان** وعلى الشعب الأفغانى بقطع النظر عن حقيقة الأوضاع الداخلية فى الأرض الأفغانية.

أسلوب موسكو فى التفكير هو التركيز على المزايا الشخصية للرفيق نجيب الله وذلك خلال الفترة التى سبقت الإطاحة ببرك كارمل، وعقب تعيينه مباشرة حيث تقول: ان نجيب الله اشترك فى "النضال الثورى" ضد حكام **أفغانستان** وتقلد مناصب عديدة داخل الحزب الشيوعى حتى استبعد عن الحزب عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) متهما بالتآمر على الرفيق حفيظ الله أمين. وقد استغلت موسكو هذه الصراعات الحزبية، فاجتحات **أفغانستان** بقواتها، وأتت بكارمل ونصبته رئيسا للدولة والحزب، وعينت الرفيق نجيب الله مديرا للمخابرات الأفغانية تقديرا لنجاحه فى العمليات المحلية والخارجية التى كان قد كلف بها قبل ذلك.

وأهم ما حققه الرفيق الشفيق نجيب الله أنه كون جهازا إرهابيا خاصا للقمع والتعذيب، وقام بدور خطير للحد من دعم القبائل الأفغانية للجهاد الأفغانى، وكان له نشاط واسع خطير بعد تعيينه فى عام ١٩٨١م (١٤٠١هـ) عضوا فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى الأفغانى، ومسئولاً عن أجهزة الأمن كلها وهذه الأجهزة القمعية هى التى تحملت العبء الأكبر فى تأمين كابل العاصمة، واعتقال العناصر المعادية للروس وأتباعهم وأعوانهم فى العاصمة الأفغانية، وكان تعامله مع تلك العناصر قاسيا لأبعد الحدود.

والرفيق نجيب الله من قبائل البشتون أصلا، وقبائل البشتون التى ينتمى إليها نجيب الله لها مكانه كبيرة فى **أفغانستان**، وهى تتمركز فى مناطق يعبرها المجاهدون بإمداتهم وتموياتهم وأسلحتهم وقد استطاع نجيب الله أن يدعم نفوذه بين بعض العناصر المؤثرة داخل هذه العناصر، وله بينهم أنصار وعملاء بالإضافة إلى العلاقة الوثيقة التى تربطه ببعض زعماء البشتون (البختون) مما جعل هناك أملا كبيرا لدى موسكو فى تحويل هذه القبائل إلى حزام أمنى يلعب دورا فى قطع طرق إمداد المجاهدين، وتهديد مناطق تحركاتهم وقتالهم داخل **أفغانستان** حتى تتفرغ موسكو لاتخاذ قرار الانسحاب من **أفغانستان** فى هدوء. وتأمل كذلك فى النهاية إلى إحكام سيطرة نجيب الله وتسلطه على الجبهة الداخلية فى **أفغانستان**، وتصبح حكومته فى كابل قادرة على البقاء فى السلطة بعد الانسحاب دون الدعم العسكرى الاقتصادى الروسى، وتتمكن القوات السوفيتية من الانسحاب نهائيا من الأراضى الأفغانية تاركة وراءها حكومة شيوعية قوية تابعة لها، وقادرة على الاستمرار فى حكم كابل، وعلى تنفيذ كل ما تطلبه موسكو من المطالب والأوامر والأهداف.

أطاحت موسكو بالرفيق كارمل، وعينت الرفيق نجيب الله وكلفته بالمهمة الصعبة التى فشل فيها كارمل، وتتفق جميع الأطراف فى **أفغانستان** وفى روسيا على صعوبة هذه المهمة الموكلة إلى نجيب الله، وهى بالفعل مهمة صعبة، وهى ليست صعبة فحسب، بل مهمة مستحيلة هذا ما يؤيده العقل والمنطق والواقع كما تؤيده التجارب التى ذاقها النظام الشيوعى فى كابل.

لقد تجاهلت موسكو ورجلها الجديد فى كابل نجيب الله المجاهدين الأفغان كقوة رئيسية مؤثرة محركة للأحداث على أرض **أفغانستان** الملتهبة بالجهاد.. وحركة المقاومة الإسلامية للغزو والوجود السوفيتى فى تصاعد مستمر، وتزداد كل يوم قوة وقتالا وتجربة فى تكتيك الحرب والقتال.

الرفيق نجيب الله الذى وضعته موسكو على رأس الحكم فى كابل أصغر أعضاء المكتب السياسى سنا فى الحزب الشيوعى الأفغانى وكان يعمل فيه تحت ظل خلافات وصراعات حزبية حادة داخل التنظيم الحزبى الذى يعانى أصلا من خلافات عميقة وصراعات قديمة بين الجناحين الرئيسيين.. الراية والخلق، وقد أخذت هذه الخلافات شكل الصراعات القبلية التى تتطور صراعاتها إلى درجة رفع السلاح فى وجه القبيلة الأخرى فى دوامة الصراع.. وهذه الصراعات والخلافات تلاحقه الآن وهو على قمة السلطة فى كابل. ويكفى للوقوف على مدى ما يواجهه الرفيق نجيب الله من الصراع والمعارضة داخل حزبه وخارجه، وفى المكتب السياسى للحزب الحاكم، ومن شتى القوى المتصارعة الأخرى على المسرح السياسى الأفغانى الدامى، أنه يوم صدور قرار تعيينه رئيسا للدولة والحزب كانت الدبابات الروسية تحاصر العاصمة الأفغانية ويكثف وجودها فى بعض النقاط الرئيسية فى كابل.

ويبدو أن الأمور الصعبة تحيط الآن بالوجود الروسى فى **أفغانستان** وبرجل موسكو الجديد فى كابل نجيب الله، وهذا الأمر طبيعى للغاية لتجاهلهم الشعب والجهاد الأفغانيين وقد تصور الروس أنه من الممكن تعيين الزعماء والقادة والرؤساء بقرارت من خارج الحدود دون أى اعتبار لرغبات العشب. وإذا أراد

الروس الانسحاب من **أفغانستان** فلا يمكنهم ذلك قبل أن تقوم بتصفية خصوم نجيب الله الحاكم الشيوعى الرابع فى كابل، وهذه مهمة أخرى صعبة بل مستحيل تنفيذها.

الدكتور نجيب الله يقوم بتعزيز سلطاته فى كابل:

قام الكوماندوز الروسى الخاص بقتل الرفيق حفيظ الله ليلة ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م (٩ صفر ١٤٠٠هـ) وأتى الروس بالرفيق ببرك كارمل وجعلوه رئيسا للنظام فى كابل. وبدأت معه التصفية الجسدية فى صفوف أنصار أمين. ومضت سنوات الدمار والخراب بشتى وسائله وأشكاله، وإذا بإذاعة كابل تذيع نبأ إقالة ببرك كارمل من أمانة الحزب وبقائه فى رئاسة مجلس الثورة، كان ذلك فى مايو سنة ١٩٨٦م (شعبان ١٤٠٦هـ)، وفى نفس الوقت تم تعيين الدكتور نجيب الله رئيس شبكة "خاد" الجاسوسية أمينا عاما للحزب بدلا من كارمل. وبعد فترة وجيزة أقيل كارمل عن رئاسة مجلس الثورة أيضا، ويعيش الآن فى تاشكند تحت عيون (كى جى بى) (**K.G B**) الروسية.

أصبح الرفيق نجيب الله المسئول الأول فى **أفغانستان** بعد أن أعفى رفيقه كارمل من جميع مناصبه الحكومية والحزبية يوم الخميس ٢٠ / ١١ / ١٩٨٦م (١٨ / ٣ / ١٤٠٧هـ) بعد أن منى بالهزائم المتلاحقة أمام قوات المجاهدين. وقد جاء إعفاء كارمل من مناصبه بعد سبعة أشهر فقط من تعيين الدكتور نجيب الله أمينا عاما لحزب الشعب الديمقراطى (الشيوعى) بدلا من كارمل. وقالت إذاعة كابل نقلا عن الرفيق نجيب الله أن الحزب الشيوعى الأفغانى قد أعفى كارمل

(٧٥ عاما) من مناصبه لأسباب إنسانية لأن صحته تتدهور يوما بعد يوم، وفى الوقت نفسه كان نجيب الله يقوم بتحركات لتعزيز سلطته والقضاء على نفوذ كارمل.

وكان المراقبون قد توقعوا فى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٨٦م (أواخر شوال ١٤٠٦هـ) بأن كارمل سيخسر منصب رئاسة الجمهورية فى الوقت الذى كان نجيب الله يقوم بتعزيز مركزه وسلطاته فى الحكومة وفى الحزب الشيوعى الأفغانى محاولا القضاء على مجموعة كارمل داخل الحزب. ومع هذا فقد قامت عدة فئات شيوعية بتظاهرات تأييد للرفيق كارمل، وكان ذلك يوم ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٨٦م (١٥ صفر ١٤٠٧هـ) خلال الاحتفال الذى أقيم فى كابل احتفالا بانسحاب بعض الجنود الروس من **أفغانستان** وقد اشترك فى الاحتفال كل من كارمل ونجيب. وألقت السلطات الأفغانية القبض على المتظاهرين.

وقد شملت الاعتقالات بالإضافة إلى المتظاهرين أنصار كارمل الآخرين بهدف تجنب قيام مظاهرات احتجاج على إعفائه من مناصبه الحكومية والحزبية. وقد تم اعتقال أنصار كارمل داخل الحزب الشيوعى الحاكم وذلك قبل وبعد الاجتماع الذى عقده الحزب يوم الخميس الموافق ٢٠ / ١١ / ١٩٨٦م (١٨ /٣ / ١٤٠٧هـ) الذى تقرر فيه إعفاؤه من مناصبه الحكومية والحزبية. وقد جرت عمليات تفتيش واسعة من منزل إلى منزل فى العاصمة بحثا عن مؤيدى كارمل. وقد انتشرت الدبابات والسيارات المدرعة فى أحياء العاصمة، وقامت القوات المسلحة بدوريات مكثفة فى إطار إظهار القوة والتخويف. والجدير بالذكر أن الرفيق كارمل قد أعفى فى شهر مايو سنة ١٩٨٦م (شهر شعبان ١٤٠٦هـ)

مناطق نشر القوات الأفغانية السوفيتية

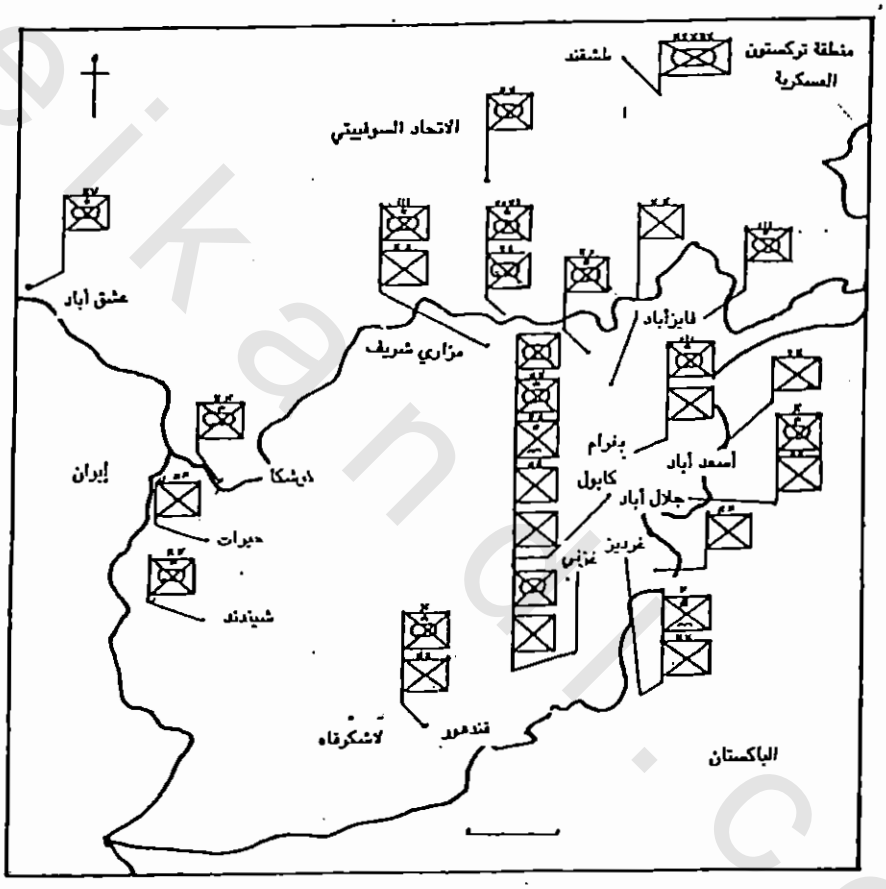

من أهم مناصبه فى البلاد كأمين عام للحزب الشيوعى الأفغانى، وذلك بعد أن ظهرت إشارات إلى أن موسكو غير مرتاحة لفشله فى هزيمة المجاهدين الأفغان، أو تأمين الدعم الشعبى للحكومة الشيوعية فى كابل.

الانفجارات تلاحق نجيب الله:

كان الزعيم الشيوعى الجديد نجيب الله يعقد مؤتمرا صحفيا يوم السبت الموافق ٢٢ / ١١ / ١٩٨٦م (٢٠ / ٣ / ١٤٠٧هـ) فانفجرت قنبلة أمام وزارة التربية بالقرب من مكان المؤتمر الصحفى، وقد فسر المراقبون هذا الانفجار بأنه من فعل أنصار كارمل المخلوع المهزوم أمام المقاومة الإسلامية للأفغانيين.

قال مراسلون صحفيون أن أربعة انفجارات قوية هزت يوم الأحد ٢٩ / ١١ / ١٩٨٦م (٢٧ / ٣ / ١٤٠٧هـ) مبنى كليه الهندسة فى كابل حيث كان الرئيس الشيوعى نجيب الله يلقى خطابا يعرض فيه دستور البلاد الجديد أمام نحو ١٥٠٠ مندوب فى اجتماع للجمعية الكبرى (لويه جركه) وقد بدأت سلسلة الانفجارات بعد عشر دقائق من بدء خطاب نجيب الله الذى واصل خطابه بهدوء، وذكر مسئولون أفغان ودبلوماسيون أن الانفجارات نتجت عن صواريخ أطلقها المجاهدون الأفغان، وقد وقعت الانفجارات بفارق زمنى لا يتعدى دقيقتين، وأن القذائف سقطت على بعد أقل من كيلو متر من المبنى الذى فرض أفراد الجيش الأفغانى حوله حراسة مشددة.

وكانت قد انفجرت أربعة صواريخ أطلقت على هذا المبنى أثناء مؤتمر الحزب الديمقراطى (الشيوعى) الحاكم الذى انعقد فى هذا المبنى قبل شهر، وأسفرت عن سقوط ضحايا غير أنها وقعت فى أماكن بعيدة من تلك التى وقعت بها انفجارات هذه المرة.

ووافق مندوبو الجمعية الكبرى (لويه جركه) على تغيير اسم البلاد من جمهورية **أفغانستان** الديمقراطية إلى جمهورية **أفغانستان**. كما وافقت على استمرار نجيب الله فى منصبه كرئيس للشعب الأفغانى. وفى الحقيقة أن انعقاد الجمعية الكبرى يعتبر حدثا حزبيا بحتا على الرغم من الجهود التى بذلتها السلطات لكى تظهر تمسكها بالممارسات الديمقراطية حيث سمحت بوجود عدد من الأحزاب الأفغانية غير أنها كلها تحت سيطرة الحزب الحاكم. وقد تم تسجيل خمسة أحزاب رسميا من بينها الحزب الحاكم.

وقد هدد المجاهدون حكومة نجيب الله على جبهة كندهار حيث استطاعوا اختراق الحزام الأمنى والاستيلاء على معظم مراكزه. ودخلوا المدينة وقصفوا منزل رئيس المخابرات الأفغانية (الخاد) وأتلفوا عددا من الآليات والمعدات العسكرية كما غنموا أنواعا مختلفة من العتاد العسكرى، وقتلوا عددا من العسكريين وجرحوا عددا آخر منهم.

وجدير بالذكر أن قوات النظام الحاكم والغزو الروسى حاولت عدة مرات إنشاء ما يسمى بالأطواق الحديدية حول مدينة كندهار غير أن المجاهدين الأفغان قد أحبطوا تلك المحاولات اليائسة.

التعذيب وحكومة نجيب الله الشيوعية فى أفغانستان:

قالت صحيفة "ذى إنديبندانت" إن التعذيب أو النفاق أمور ليست جديدة بالنسبة لحكومة **أفغانستان**. فالنظام الذى جاء إلى الحكم بمساعدة السوفيت فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٩م (صفر ١٤٠٠هـ) على أكتاف الدبابات السوفيتية وبدعوى العمل على ترسيخ حقوق الإنسان، وحكم القانون، يمارس التعذيب بمختلف أنواعه وأشكاله، ويعتقل المواطنين اعتباطا وبصورة تعسفية ولا يقيم وزنا للعدالة.

ومضت الصحيفة تقول: إن منظمة العفو الدولية "أمنستى انترناشينال" تذكر فى أحدث تقرير لها عن **أفغانستان** أن النفاق الحكومى الأفغانى واضح جدا لا سيما وأن الحكومة قد وقعت على الميثاق الدولى الذى يحظر التعذيب، ومع ذلك فهى تمارسه وتحت إشراف مستشارين سوفيت ضد خصومها السياسيين وضد الطلاب والمعلمين ورجال الأعمال إلى الدرجة التى أصبح فيها التعذيب أسلوبا مقبولا وممارسة ثورية عادية.

عهد الرعب:

فقد أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات واسعة النطاق مع العديد من ضحايا النظام الذين لجأوا إلى باكستان. والصورة التى يرسمها هؤلاء من خلال المقابلات لا تختلف فى شئ تقريبا عن تلك التى كانت تسود **أفغانستان** أيام الرعب الذى

كان ببرك كارمل وأسياده السوفيت قد اتهموا حكومة حفيظ الله أمين بارتكابه كتبرير لتولى كارمل السلطة من خلال الغزو السوفيتى عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ). وكان كارمل بالمعايير الأفغانية زعيما إنسانيا نسبيا. وقد قرر الحزب الشيوعى الأفغانى استبداله فى شهر مايو ١٩٨٦م (شعبان ١٤٠٦هـ) بالدكتور نجيب الله مدير المخابرات الأفغانية (خاد) التى أصبحت الآن تعرف باسم وزارة أمن الدولة.

قمع واضطهاد:

وقد ظلت الحكومة الشيوعية فى كابل طوال السنوات الثمانى الماضية أداة قمع واضطهاد ففى عهد أمين كان مركز الاعتقال الرئيسى فى حى "صدارت" بقلب كابل. وكانت العناصر المعادية للثورة تتعرض للتعذيب هناك. ويقول السجناء السابقون أن التعذيب الكهربائى أصبح أمرا روتينا بعد أن تم فيه تركيب أجهزة خاصة لتعذيب المعتقلين. ويشهد هذا المركز معظم عمليات التعذيب.

الناس يختفون:

وتقول منظمة العفو الدولية فى تقريرها عن **أفغانستان** إن الناس يختفون من الشوارع، كما أن البيوت تتعرض للغارات المستمرة لاسيما فى الليل ودون أى تصريح رسمى بتفتيشها. كذلك يتعرض الأبرياء للضرب والتعذيب والاعتقال، وبعدئذ يطلق سراحهم بدعوى الخطأ فى التعرف عليهم. وتهددهم المخابرات بالمزيد من التعذيب والاعتقال إن هم تحدثوا عن خبرتهم المريرة على أيدى مخابرات النظام. والذى يحصل عادة هو ألا توجه أية تهمة للمعتقلين، وأن المخابرات هى

القول الفصل فى مصير الناس والحكم عليهم أو إطلاق سراحهم كما يحلوا لها، وعندما يمثل بعض الأشخاص أمام ما يسمى بالمحاكم الثورية فإنهم يمثلون نتيجة اعترافات مزورة انتزعتها المخابرات منهم بالتعذيب.

الخصم والحكم:

أما القضاة فهم من الحزب الشيوعى وبشكل خاص من الرسميين فيه والذين ليس لهم أى صفة قانونية إطلاقا أو أى معرفة قضائية، ويتوجب على المتهم أن يعد دفاعه بنفسه قبل بدء المحمكة. ولاتدوم الإجراءات سوى بضع دقائق بينما يمنع المحامون والأقارب من زيارة المتهمين أو الاتصال بهم، وكل هذا يجرى رغم توقيع الحكومة الميثاق الدولى للحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ) الذى يحرم كل تلك الممارسات. ومع أن الاتحاد السوفيتى أيضا وقع على الميثاق المذكور فإن منظمة العفو الدولية تقول: إن الكثير من عمليات التعذيب تتم بحضور المستشارين السوفيت فى مراكز الاعتقال. ويقوم هؤلاء المستشارون والخبراء بتوجيه عملية التعذيب بينما يتركون التنفيذ للأفغانيين. (الشرق الأوسط "انديبندانت").

نجيب الله يعلن وقف إطلاق النار:

أعلن الرفيق نجيب الله رئيس الحكومة الشيوعية فى كابل اقتراحا بوقف إطلاق النار اعتبارا من يوم الأحد ١ / ١ / ١٩٨٩م (٢٤ / ٥ / ١٤٠٩هـ)، وقد أيدته فى ذلك موسكو فى بيان لها بهذا الشأن. وصرح محمد يونس خالص رئيس الحزب

العمليات السوفيتية الأخيرة فى عام ١٩٨٣م

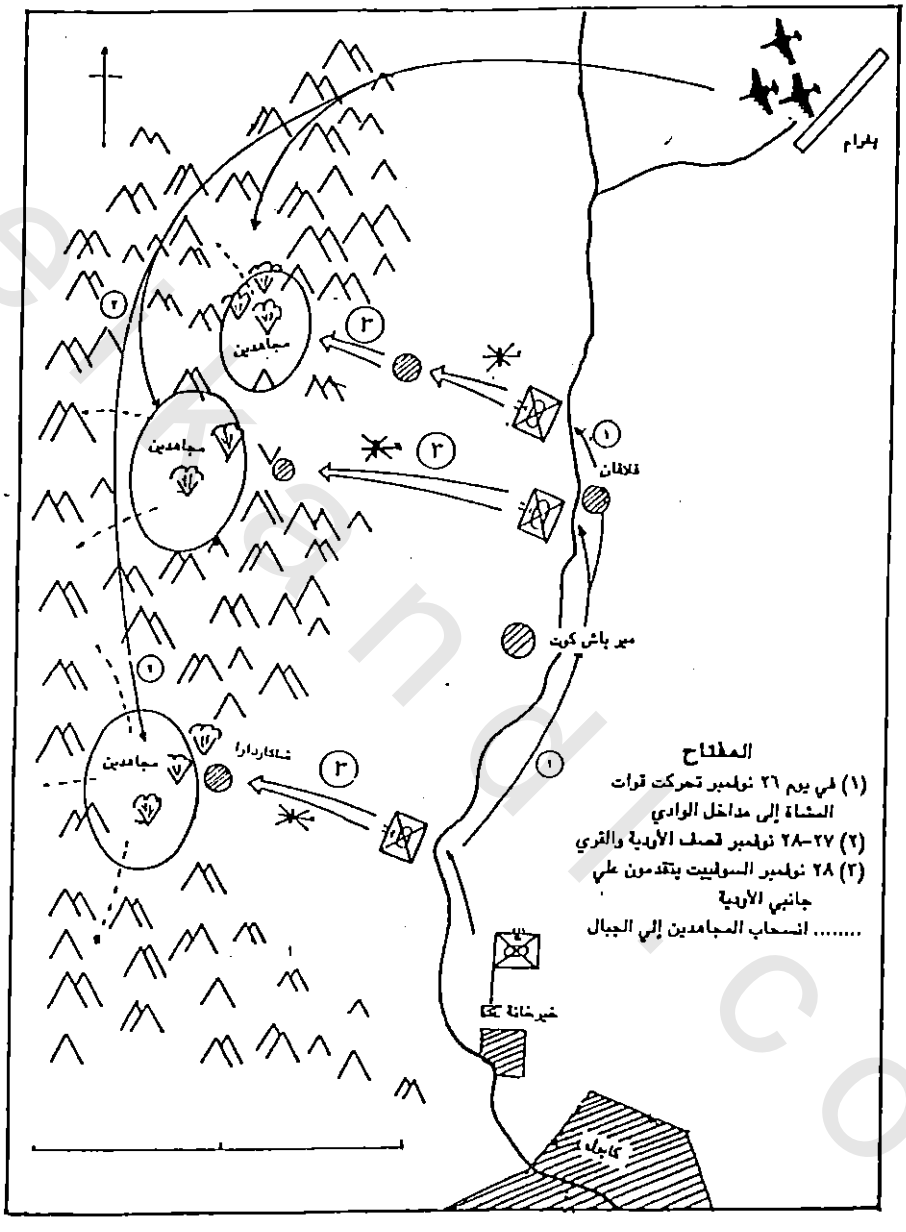

الإسلامى الأفغانى بأن نجيب الله اقترح وقف إطلاق النار لأنه لايملك وسيلة أخرى لحماية نفسه من المجاهدين، وقال: إننا لانقبل اقتراحاته.

وكان رئيس الحكومة الشيوعية فى كابل قد أعلن قبل يومين وقف إطلاق النار من جانب واحد اعتبارا من ١ / ١ / ١٩٨٩م (٢٤ / ٥/ ١٤٠٩هـ) وأعطى مهلة أسبوعين للمجاهدين الأفغان لوقف معاركهم ضد حكومة كابل الشيوعية. وأمر نجيب الله جنوده بعدم مهاجمة المجاهدين وقد حذر فى الوقت نفسه أن الجيش الأفغانى سيرد بشدة إذا ما تعرض للهجوم.

ومن جانب آخر أصدرت وزارة الخارجية الروسية بيانا قالت فيه أن القوات الروسية فى **أفغانستان** ستحترم وقف إطلاق النار الذى أعلنه النظام الشيوعى فى كابل من جانب واحد لمدة أربعة أيام. وقالت: إن الاتحاد السوفيتى يساند هذه المبادرة السلمية من جانب القيادة الأفغانية مساندة كاملة، ويعلن من جانبه أن جميع وحدات القوة السوفيتية التى لاتزال فى **أفغانستان** ستلتزم بوقف إطلاق النار اعتبارا من نفس التاريخ. وقالت الوزارة: لقد أظهرت الحياة بما لا يدع مجالا للشك أنه من المستحيل حل المشاكل الأفغانية بقوة السلاح. وأكدت من جديد استعداد موسكو لوقف امداد نظام نجيب الله فى كابل إذا كفت أمريكا عن تزويد المجاهدين بالأسلحة. وترى أن وقف إطلاق النار هو الشرط الأول واللازم للإسراع فى إيجاد تسوية سياسية للمشكلة الأفغانية. وقالت: إن وقف إطلاق النار سيساعد على إقامة حوار بين الأفغان لتشكيل حكومة على قاعدة عريضة بمشاركة كافة المجموعات المتنازعة.

ويأتى إعلان وقف إطلاق النار مع اقتراب الموعد الأقصى لسحب القوات الشيوعية من **أفغانستان** وهو ١٥ / ٢ / ١٩٨٩م (١٠ / ٧ / ١٤٠٩هـ) وفقا لاتفاقات جنيف الخاصة بتسوية القضية الأفغانية. ويرى المراقبون أن هناك دلائل تشير إلى أن القوات الروسية تستعد لمعاودة الانسحاب من **أفغانستان** بعد تعليق هذا الانسحاب فى بداية نوفمبر سنة ١٩٨٨م (ربيع أول سنة ١٤٠٩هـ). وكانت السلطات الأفغانية قد اقترحت دون جدوى منذ عامين وقفا لإطلاق النار أثناء إعلانها ما أسمته سياسة "المصالحة الوطنية".

حكومة نجيب الله تعلن حالة الطوارئ:

سيطرت المظاهر العسكرية على العاصمة الأفغانية كابل، وسارت دبابات وناقلات جنود عسكرية مدرعة فى شوارع المدينة بأعداد كبيرة مع مطلع أول يوم لسريان مفعول حالة الطوارئ التى فرضتها حكومة نجيب الله الشيوعية على كابل العاصمة. وقد حاول نجيب الله تعزيز قبضته على نظام حكمه بفرض حالة الطوارئ، وعزل ربع أعضاء مجلس وزرائه. وقد عين سبعة من أعضاء اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطى الحاكم الذى يتزعمه فى الوزارة بدلا من وزراء غير أعضاء فى الحزب. وقد فرض نجيب الله حالة الطوارئ منذ منتصف ليلة ١٨ / ٢ / ١٩٨٩م (١٣ / ٧ / ١٤٠٩هـ)، وقال فى بيان له: إن سلامة **أفغانستان** معرضة للخطر من جانب المجاهدين الأفغان.

وقد ساد الهدوء العاصمة الأفغانية، وقل وجود العسكرين فى الشوارع على غير المعتاد فى الأيام الثلاثة التى أعقبت الانسحاب النهائى للقوات الروسية

الأربعاء الموافق /١٩٨٩/٢م رجب ١٤٠٩هـ إلا أن مزيدا من العسكريين عادو إلى الظهور فى الشوارع بعد ذلك. وقد أظهرت جولة تمت فى أنحاء كابل استغرقت ٤٠ دقيقة وجود تشكيل مكون من دبابة ثقيلة، وثلاث دبابات خفية، وأكثر من عشر سيارات مدرعة عند التقاطعات والمواقع المهمة فى المدينة. وكانت عدة جماعات من رجال الدفاع المدنى المسلحين ببنادق آلية من طراز كلاشينكوف تتجول فى شوارع كابل العاصمة. وبدا أن السكان يمارسون نشاطهم العادى، ولكن الصفوف أمام المخابز كانت أطول من المعتاد فى الأيام الأخيرة.

وأعلنت إذاعة كابل تعديلا وزاريا شمل تغير ستة وزراء وتعيين أربعة وزراء إضافيين، وقال الأفغانيون فى المنفى أن التعديل يهدف على ما يبدو إلى تشديد قبضة حزب الشعب الشيوعى بقيادة نجيب الله. وبمقتضى الدستور الجديد الذى وضع منذ أكثر من عام بقليل يحق للرئيس فرض حالة الطوارئ لمدة ثلاثة أشهر، ويحتاج أى تمديد للفترة الأخرى إلى موافقة مجلس تقليدى من أعيان القبائل الأفغانية (لويه جركه). وتتضمن حركة الطوارئ وقف حرية التعبير، والاجتماع والتظاهر، والسفر إلى خارج البلاد. وقد أبرزت صحيفة "برافدا" الناطقة بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى فى صدر صفحتها الأولى فى ١٩ / ٢ / ١٩٨٩م (١٤ / ٧ / ١٤٠٩هـ) نبأ فرض حالة الطوارئ فى **أفغانستان** غير أنها كسائر الصحف السوفيتية امتنعت عن التعليق على قرار فرض حالة الطوارئ. وتحت عنوان "**أفغانستان**.. لمنع إراقة الدماء" نشرت "برافدا" خبرا طويلا لوكالة تاس مصدره كابل يشرح الإجراءات التى اتخذها الرئيس الأفغانى الشيوعى نجيب الله بفرض حالة الطوارئ فى **أفغانستان**. أما جريدة "النجم الأحمر" لسان حال الجيش

السوفيتى فإنها نشرت نص وكالة تاس نفسه ولكن فى الصفحة الثالثة تحت عنوان "**أفغانستان**.. إعلان حالة الطوارئ" وبدون أى تعليق عليه.

رئيس وزراء نجيب الله يقدم استقالته:

إن رئيس وزراء **أفغانستان** السيد محمد حسن شرق قد استقال من منصبه. وقد جاءت استقالة رئيس الوزراء الأفغانى (٦٣) سنة بينما تولى مجلس عسكرى أعلى مؤلف من عشرين شخصا الحكم فى **أفغانستان**. وكان حسن شرق أكبر مسئول حكومى غير عضو فى حزب الشعب الأفغانى الشيوعى الحاكم بزعامة نجيب الله. ولم يذكر اسمه فى قائمة أعضاء المجلس العسكرى الجديد التى أعلنت رسميا ليلة ١٩ / ٢ / ١٩٨٩م (١٤ / ٧ / ١٤٠٩هـ) وجميع أعضاء المجلس العسكرى باستثناء نائب الرئيس عبد الرحيم هاتف أعضاء بالحزب الحاكم وأغلبهم من المكتب السياسى للحزب. وقد جاءت هذه التعديلات فى أعقاب انسحاب آخر جندى من القوات الروسية التى كانت متمركزة فى **أفغانستان**.

وكان من المتوقع استقالة شرق بعد سبعة أشهر من توليه منصبه، ولكنها تأخرت لأسباب لم تتضح بعد. ويبدو أن كلا من نجيب الله وحسن شرق قد اتفقا على ضرورة أن يرأس الرئيس الأفغانى الشيوعى مجلس الوزراء أثناء حالة الطوارئ فى البلاد التى أعلنت ليلة ١٨ / ٢ / ١٩٨٩م (١٣ / ٧ / ١٤٠٩هـ).

وقالت وكالة تاس السوفيتية للأنباء إن نجيب الله ناشد الدول الأعضاء فى المجموعة الأوربية، ودولا أخرى، ومنظمات دولية أن تسهم فى ايجاد تسوية

سياسية للقضية الأفغانية، وقالت الوكالة إن الرئيس نجيب الله بعث برسائل إلى زعماء الصين والهند وكوبا وزيمبابوى ودول المجموعة الأوربية وعدد من المنظمات الدولية طلب منها المساعدة فى التوصل لتسوية فى **أفغانستان**.

حكومة نجيب الله والجيش الأفغانى المتداعى ينتظرون سيطرة المجاهدين:

نشرت صحيفة "التايمز" تحقيقا لمراسلها الخاص فى **أفغانستان** بدأه بالإشارة إلى ملصق يقول: كابل "مدينة السلام" كان معلقا على أحد الأعمدة على الطريق الرئيسية التى تتجه من العاصمة الأفغانية إلى الشرق نحو مدينة جلال آباد. وقال المراسل: لكن ما يستطيع المرء أن يراه على الطريق التى يحاصرها الآن حوالى خمسة عشر ألف مجاهد يحكى قصة مختلفة. فمنذ اللحظة التى وصلت فيها السيارة التى كنا نستقلها إلى منطقة الريف المكشوف فى نهاية ضواحى العاصمة بدأت عينا السائق تراقبان كل شبر فى قلق شديد توقعا لهجوم مباغت بالصواريخ أو مدافع الهاون من المجاهدين.

وباستثناء صوت الشاحنات وسيارات النقل العسكرية الضخمة التى تركها السوفيت والتى كانت عائدة لإحضار المزيد من الدبابات إلى المنطقة التى ستصبح قريبا الخط الأمامى للدفاع عن كابل، فقد كانت الطريق شبه مهجورة. وعلى مسافة حوالى خمسة وعشرين كيلومترا فقط أوقف أحد الجنود الأفغان الذى كان القلق واضحا على وجهه سيارتنا عند إحدى نقاط التفتيش. وكان الجندى يرتدى

خوذة يبدو أنها تعود إلى الحرب العالمية الثانية فوق قبعة من الفرو روسية الصنع. كان هذا الجندى معلما شابا إلى أن تم تجنيده فى الجيش توقعا للمعركة النهائية مع المجاهدين، وقال لنا: ليس فى وسعكم أن تتجاوزوا هذه المنطقة دون إذن خاص. وكل ما تستطيعون فعله هو أن تنتظروا القافلة من جلال آباد. إذ أن هناك اشتباكات فى المنطقة التالية. وكان واضحا أن هذا المعلم فى مكان غير مكانه الصحيح. وقد أبلغنا أنه تأخر مع رفاقه لأن بعض شاحناتهم نفذ منها البنزين وهى فى طريقها إلى العاصمة حاملة الخضروات والفواكه وحطب النار. ولكن تلك الشاحنات لم يكن فيها أى بنزين وهو ما تحتاجه كابل حاجة ماسة. ذلك لأن النقص فى الوقود فى كابل وصل خلال الأيام القليلة الماضية إلى درجة من السوء جعلت الكثير من العائلات تقتلع الأشجار لمحاولة تدفئة بيوتها فى جو انخفضت فيه درجة الحرارة عن ١٠ درجات مئوية تحت الصفر. كما أن معظم كابل تعانى من انقطاع الكهرباء.

ويقول أحد أعضاء فريق الأمم المتحدة الذى لا يزال موجودا فى كابل: "الآن وقد غادر الروس المدينة فإن المسألة أصبحت كليا مسألة إنسانية وليس صراعا بين الشرق والغرب".

وقال مراسل صحيفة "التايمز" إن الحالة البدائية التى وصلت إليها الآلة العسكرية للنظام الأفغانى اتضحت عند نقطة التفتيش فى قرية "تنكى بل جرخى" حيث توقفت سيارتنا إذ كان الجنود يستخرجون الماء من إحدى الآبار بينما كانت معدات الطهى معهم عبارة عن شبكة صغيرة من الحديد الذى يوضع فوق الفحم.

وعلى التلال كان بعض من مئات الدبابات التى تركها السوفيت للجيش الأفغانى وهى تربض مكشوفة وهدفا سهلا لصواريخ المجاهدين. وقد شاهدنا عددا من الحاويات على الطريق وكانت الأسلحة التى تركها السوفيت مكدسة فيها أما الجنود الذين كانوا فى آخر نقطة تفتيش فقد كانوا تحت رئاسة أحد أعضاء المخابرات التى دربتها المخابرات الروسية (كى. جى. بى) (**K. G. B**) ومهمته بالطبع هى مراقبة أى إشارة تظهر بين الجنود للفرار والانضمام إلى المجاهدين.

لكن الشئ الرئيسى الذى يوحد بين جنود هذا المهلهل هو كراهيتهم لسياسات الزعيم الإيرانى آية الله الخمينى. إلا أن قرب نقطة التفتيش تلك - وهى آخر النقاط على الطريق - كان دليلا آخر على مدى ضعف سيطرة الجيش الحكومى على تلك الطريق المؤدية إلى العاصمة. (العدد ٣٧٣٨ من جريدة الشرق الأوسط - التايمز).

حكومة نجيب الله الشيوعية تعانى من الانقسام:

كشف فاديم زاجلادين عضو مجلس السوفيت الأعلى، والمستشار السياسى للرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف لشئون السياسة الخارجية عن أن قيادة نظام كابل تعانى من الانقسام الشديد، وأن أى شئ ممكن أن يحدث فى هذا المناخ السياسى المكفهر. واعترف بأن الاتحاد السوفيتى قد ارتكب خطأ فاحشا بغزوه **لأفغانستان**. وكشف زاجلادين عن أن ثلاث دول أوربية ودولة آسيوية شرعت فى مبادرة سرية تهدف إلى تجنب حدوث حرب أهلية فى **أفغانستان** وأكد أن الاتحاد السوفيتى يدعم هذه المبادرة التى تسعى لتحقيق مطالب الشعب الأفغانى.

وقال خلال لقاء معه فى موسكو أن قائمة بأسماء عدد من السياسيين الذين ربما يرضى بهم المجاهدون قد أعدت بمساعدة جميع الأطراف، وأن الاتحاد السوفيتى سيقبل بأية حكومة مقبلة تتشكل من الأسماء الموجودة فى هذه القائمة.

وأضاف السياسى الروسى زاجلادين أن قيادة حكومة نجيب الله فى كابل منقسمة على نفسها انقساما شديدا، ومن الممكن أن يحدث أى شئ فى هذا الجو السياسى المكهرب. وردا على سؤال عما إذا كانت موسكو تنوى تدبير انقلاب عسكرى لإنهاء نظام نجيب الله لتمهيد الطريق أمام قيام حكومة وطنية ذات قاعدة أعرض، قال إن الاتحاد السوفيتى لم تعد لديه الوسائل العسكرية للقيام بمثل هذا العمل. وأعرب زاجلادين عن الأسف الشديد لاشتراك بلاده فى المغامرة الأفغانية، ووصف غزو عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) بأنه خطأ كبير ارتكبته بلاده. وقال: لقد خدعنا نور محمد ترهكى الذى كان قد تورط فى مبدأ الأمر. وحالما دخلنا المعمعة أخذنا نغوص فيها أعمق فأعمق، كما يغوص الإنسان فى الطين المبتلع. وقال السياسى الروسى فاديم زاجلادين: نحن ممتنون لمساعدة المملكة العربية السعودية الاتحاد السوفيتى فى إجراء اتصالات مع المجاهدين فى مدينة الطائف.

حكومة إئتلافية ودولة إسلامية:

المبادرة الأفغانية الجديدة وكثرة ترديد اسم الزعيم الأفغانى تذكر المرء بقصة ذلك الصحافى المقيم فى موسكو والذى كاد يصاب بالصدمة حين اعترضت السلطات الأفغانية على طلبه بمقابلة محمد نجيب الله، الأمين العام للحزب الديموقراطى الشعبى بحجة عدم وجود زعيم بهذا الاسم فى **أفغانستان**. و لم يفهم

الصحفى الأمر إلا بعدما أوضحوا له أن الإسم الرسمى للزعيم الأفغانى هو (الرفيق نجيب) فقط! وفى حينها تبادل الصحافيون التعليقات الطريفة حول الموضوع، فمنهم من قال إن الأمين العام للحزب الأفغانى ربما فعل ذلك تيمنا باسم "الرفيق ستالين" مثلا، ومنهم من قال إن الرجل باعتباره زعيما لحزب ماركسى فقد حذف الجزء الأول والأخير من اسمه السابق محمد نجيب الله مكتفيا باسم "الرفيق نجيب". ولكن ذلك لم يعد واردا الآن بعدما أعلن نجيب عن مبادرته التى تشتمل شروطها على تعهد باعتبار الإسلام دينا رسميا للدولة، ولعله سيعود الآن إلى استخدام اسمه السابق كاملا - الدكتور محمد نجيب الله - انسجاما مع الظروف المستجدة.

وعلى صعيد الجد، فإن البيانات الرسمية السوفياتية، والأفغانية التى تناولت زيارة نجيب إلى موسكو بين ١١و١٣ من شهر ديسمبر ١٩٨٦م (٩ و ١١ ربيع ثان ١٤٠٧هـ) تضمنت فقرة يتوضح الآن أنها كانت إشارة إلى هذه المبادرة الجديدة، الفقرة تقول: "توصل الطرفان إلى قناعة بأن هناك فى الوقت الحاضر وسائل واقعية لتطبيع الأوضاع حول **أفغانستان** بسرعة وبصورة جذرية مما يهيئ الظرف اللازم لعودة القوة السوفياتية المحدودة إلى وطنها والموجودة حاليا فى جمهورية **أفغانستان** الديمقراطية بطلب من حكومتها".

ويبدو أن أكيدا الآن أن نجيب بحث فى موسكو تفاصيل المبادرة بدقة، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار المستوى العالى للوفدين المشاركين فى مباحثات موسكو. فإضافة إلى زعيمى البلدين، شارك فى المباحثات رئيس الوزراء ووزراء

الخارجية والدفاع والداخلية ورئيسا جهازى الأمن ونائبان لرئيس الوزراء وأعضاء بارزون فى قيادة الحزبين الحاكمين.

الإعلان الأفغانى تضمن لأول مرة شروطا محددة وواضحة "لتطبيع الأوضاع حول **أفغانستان**" وهى - إضافة إلى التعهد باعتبار الإسلام دينا رسميا للدولة - وقف إطلاق النار من جانب واحد لمدة ستة أشهر اعتبارا من ١٥ يناير ١٩٨٧م (١٦ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ)، وإعلان العفو العام عن السجناء من المعارضة، وضمان المرور الآمن لمن يرغب من زعماء المجاهدين فى المشاركة فى المفاوضات مع الحكومة، وتشكيل حكومة مصالحة وطنية إلى حد إضفاء الطابع الائتلافى عليها، وأخيرا نسيان جميع عداوات الماضى نهائيا.

تطورات سريعة تلاحقت منذ إعلان نجيب لمبادرته فى اجتماع كامل للجنة المركزية للحزب الحاكم فى الأول من يناير ١٩٨٧م (الثانى من جمادى الأولى ١٤٠٧هـ). ففى الثالث من الشهر نفسه اجتمعت اللجنة الطارئة للمصالحة الوطنية التى أعلن نجيب أمامها عن مزيد من التفاصيل حول الإجراءات العملية للمبادرة، فذكر أن الأوامر ستصدر إلى جميع السلطات العسكرية والمدنية بالالتزام بصرامة بوقف إطلاق النار إلا فى حالة الدفاع عن النفس وبعد استنفاد كافة الوسائل الأخرى لتجنب ذلك، كما أن السجون ستفتح أبوابها ليخرج منها جميع المعتقلين، وأن الدعوة للاشتراك فى الحكومة الائتلافية تشمل الجميع.

وعلى إثر ذلك وصل إلى العاصمة الأفغانية وفد سوفياتى على مستوى عال يضم وزير الخارجية أدوار شيفاردنادزه وعضو سكرتارية اللجنة المركزية المسئول

عن شئون السياسة الخارجية فى الحزب أناتولى دوبرينين فى "زيارة عمل"، كما وصفت رسميا، والغرض منها كما يبدو هو تنسيق الجهود بين موسكو وكابل قبل أيام معدودات من بدء تنفيذ قرار وقف إطلاق النار. وقد كان وصول هذين المسئولين الكبيرين مؤشرا مهما اعتبره المحللون الغربيون دليلا على جدية المبادرة الأفغانية والإعلان السوفياتى على لسان وزير الخارجية بواقعية احتمال انسحاب القوات السوفياتية فى وقت قريب.

ما هى حظوظ نجاح المبادرة الأفغانية السوفياتية؟

لعل بعض مفاتيح الجواب عن هذا السؤال تكمن فى الإشارة إلى عدد من الاعتبارات الأساسية. فأولا لم يعد هناك شك الآن فى أن الزعيم السوفياتى ميخائيل جورباتشوف عازم عزما أكيدا على إزالة جميع آثار ومخلفات حكم سلفه الراحل ليونيد برجنيف والتى تشكل عوائق رئيسية أمام إصلاحات العهد الجديد على الصعيدين الخارجى والداخلى. ويجب أن لا يغيب عن البال أن الظرف والوقت ملائمان الآن تماما أمام الكرملين لأخذ زمام المبادرة بالنسبة لمحمل مشاكل **أفغانستان** التى تشكل الهم الأكبر فى السياسة السوفياتية غير أن الرغبة الأكيدة لجورباتشوف فى الخروج من الدوامة الأفغانية لا يعنى استعداد موسكو للتخلى عن دعم النظام الأفغانى، وإنما الهدف هو التوصل إلى خلق وضع تسوده معادلة من المصالحات والمساومات تبقى على الطابع العام للنظام بما يأخذ بعين الاعتبار الأهمية الإستراتيجية التى تمثلها **أفغانستان** فى إطار السياسة السوفياتية الشمولية.

الاعتبار الآخر ربما يرتبط برغبة ميخائيل جورباتشوف فى ترجمة طموحاته وبرامجه المعلنة إلى شئ ملموس فى وقت يدخل فيه حكمه عامه الثالث فى مارس ١٩٨٧م (رجب ١٤٠٧هـ) وفى سنة الاحتفال بمرور ٧٠ عاما على الثورة البلشفية، وهى مناسبة مهمة للسوفيات لابد من أن تقترن ببعض الإنجازات الباهرة فى روسيا.

الاعتبار الثالث يتلخص فى قناعة موسكو بأن نظام الحكم الأفغانى أصبح يمتلك مقومات أساسية للصمود ومجابهة الصعوبات بقدراته العسكرية والإدارية الذاتية. فالنظام الأفغانى يعتمد فى تسيير شئونه على جهاز يضم ٨٠٠ ألف شخص ينتظمون فى إطار ما يسمى بالجبهة الوطنية وقاعدتها ١٧٠ألف عضو من أعضاء الحزب الحاكم. ومعروف أن النظام استطاع خلال العام المنصرم إقناع أعداد كبيرة من زعماء قبائل البشتون وفى مناطق نورستان وهزارجات بإعلان الحياد بين الحكومة وقوات المجاهدين، كما أن مفاوضات تجرى منذ أشهر بين الحكومة وممثلى عدد من جبهات المعارضة المسلحة فى الداخل. وتأمل الحكومة الأفغانية بالتأكيد أن تؤدى مبادرتها إلى تأثير حاسم على موقف مثل هذه الجماعات وتشجع غيرها أيضا على التفاوض. غير أن مصير هذه المبادرة الأفغانية يظل معتمدا بصورة أساسية، بطبيعة الحال، على مواقف المنظمات المقاتلة الرئيسية والتى أعلن زعماؤها عن رفضهم للمبادرة. ومع ذلك فإن هناك مناورات كثيرة تجرى وراء الكواليس وهناك من المراقبين الغربيين من يعتقد حتى بوجود "طبخة" مسبقة بين السوفيات وباكستان التى يزداد قلقها نتيجة لتفاقم الضغوط بسبب وجود المنظمات الأفغانية والملايين الثلاثة من اللاجئين الأفغان فى أراضيها، الأمر

الذى حقق إمكانية تفاهم سوفياتى - باكستانى قد تتوضح أبعاده أثناء المحادثات بين الطرفين فى جنيف.

على أية حال تبقى هذه التصورات فى إطار التكهنات والتوقعات، ولكن الشئ المؤكد هو أن حالة الجمود على الجبهة الأفغانية قد انتهت، وسوف تشهد الأسابيع القليلة المقبلة تطورات كبيرة وحاسمة سيكون لها أبعاد مهمة بالنسبة للسياسة السوفياتية فى **أفغانستان** بصفة عامة. ونحن فى انتظار الانسحاب النهائى للروس من **أفغانستان** فى عام ١٩٨٩م (١٤٠٩هـ) لنعلم الخبر اليقين بالنسبة لهذه التغيرات والتوقعات فى السياسة الروسية فى عهد الرئيس جورباتشوف.

ماذا وراء الخطط السوفياتية الجديدة فى أفغانستان؟

على أرض المعركة الدموية فى **أفغانستان** المجاورة لا تعطى موسكو أى إشارة على أنها تفكر فى السلام. فبدلا من أن يعمل الاتحاد السوفياتى على إحلال السلام أخذ يصعد من عملياته العسكرية فى وجه تصاعد مقاومة المجاهدين للاحتلال.

ومع أن القوات السوفياتية تسيطر على معظم المدن والمراكز الرئيسية فى البلاد فإن المجاهدين يسيطرون على المناطق الباقية. ومع أن القوة التى يتمتع بها السوفيت تفوق المجاهدين فإنهم يواصلون نضالهم من أجل تحرير بلادهم ملحقين خسائر فادحة بقوات الجيش الأفغانى والقوات السوفياتية.

تسوية سلمية:

وفى وجه مشاعر القلق المتزايدة التى بدأت تظهر فى الاتحاد السوفياتى بسبب تصاعد الحرب فى **أفغانستان** والتى تكلف المزيد من الأرواح بين الجنود السوفيت فإن الزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف أشار فى الآونة الأخيرة إلى أنه يفضل تسوية سلمية للصراع. لكن الخطة المبهمة والغامضة التى عرضها لم تقدم أى اقتراحات محددة مما يشير إلى أن ذلك التحرك كان مجرد امتصاص الانتقادات أكثر منه لإحلال السلام.

إن المحللين الغربيين يعتقدون بأن السوفيات لن يفكروا فى الانسحاب من **أفغانستان** إلا إذا ضمنوا بقاء نظامهم العميل فى كابل فى السلطة. كما أن هذه الموجة الدبلوماسية الأخيرة لم تخفف من حدة القتال بل زادت منه. ومع ازدياد القتال تزداد معاناة الشعب الأفغانى ويزداد عدد القتلى ويتسع الدمار. إذ يقول عبد الحق وهو أحد قادة المجاهدين: إن الحرب فى تغير مستمر منذ البداية ولكن السنتين الأخيرتين شهدتا المزيد من القتال وأصبحت الحرب أكثر مشقة من السابق. فقد حسن الروس من تكتيكاتهم وأصبحت قوة ميزانهم أكبر وأفضل الآن.

١١٨ ألف جندى:

كذلك أصبح من الواضح أن السوفيات يستخدمون المزيد من الجنود ويعتقد أن العدد الحالى يصل إلى ١١٨ ألف جندى مع وجود ما بين ثلاثين وأربعين ألفا

على الحدود السوفياتية - الأفغانية إذا ما دعت الحاجة إليهم. أما بعض المصادر الأخرى فتقدر عدد القوات السوفياتية داخل **أفغانستان** بحوالى مائة وخمسين ألف جندى. فى وجه ذلك ترى بعض المصادر أن عدد قوات المجاهدين ربما يصل إلى مائتى ألف مقاتل ولكن المشكلة هى أن كثيرا منهم غير متفرغين للقتال. ومع أن المساعدات التى يتلقاها المجاهدون تحسنت فإنها لا تزال غير كافية. والأهم من ذلك بالنسبة للنتيجة النهائية أن القوات السوفياتية أخذت تغير تكتيكاتها من أجل مواجهة الحرب التى يخوضها المجاهدون وهى حرب عصابات. وزادت قوات الاحتلال من هذا التغير فأخذت تنصب الكمائن هى نفسها للمجاهدين باستخدام القوات الخاصة المعروفة باسم (سبيتزناز) كما حصل فى إحدى الغارات المباغتة الأخيرة التى شنتها هذه القوات أخيرا وأدت إلى مقتل ٨٢ مجاهدا وإصابة أكثر من ستين أخرين بجروح. ويقول أمين ورداك أحد قادة المجاهدين: إننا فى تلك الغارة لم نعرف آنذاك من أين كانوا يهاجموننا أو يطلقون نيرانهم علينا لأنهم كانوا يستخدمون كاتمات الصوت.

إجراءات قمعية:

وفى هذه الأثناء زاد السوفيات من إجراءاتهم القمعية فى مختلف المناطق التى تخضع لسيطرة الحكومة أو لسيطرتهم. فى محاولة لاستعادة النظام ولكن تلك الخطوات لم تحقق النجاح المرجو منها. ورغم وقوع الكثير من الضحايا والقتلى بين صفوف قيادة المجاهدين فإنهم استطاعوا التغلب على الصعاب التى نجمت عن ذلك كما أن المجاهدين شنوا فى الفترات الأخيرة هجمات ناجحة ضد قوات

الاحتلال واستولوا على عـدد مـن المراكـز والقواعـد الحكوميـة. وشـن المجـاهدون الكثير من الهجمات المتكررة الناجحة على القوافل العسـكرية السـوفياتية والمراكـز المتقدمة حتى فى شمال كابل وفى مناطق أخرى مثل مقاطعة سالنك. كما أن مطار كابل تعرض للهجوم. ولكن أجرأ العمليات التـى تشـنها المقاومـة هـى تلـك التـى تنظم فيها زرع الألغام ويشترك فيها أقل عـدد ممكـن مـن الرجـال ولكنهـم أفضـل تسليحا.

سياسة الأرض المحروقة:

ومن المظاهر التى يعانى منها الشـعب الأفغـانى نتـائج سياسـة الأرض المحروقـة التى تلجأ فيها القوات السوفياتية إلى قصف المساكن والمـزارع والحقـول والحصـاد وتدمير كل شئ. والهدف من ذلك أن الغزاة يريدون تحويل بعض أجزاء البـلاد إلى مناطق لا تصلح للسكنى. ومن نتائج ذلك أن عدد اللاجئين سيزداد بحوالى خمسين ألف شخص مما يجعل عدد اللاجئين الأفغان عموما يزيد على ثلاثة ملايين ونصـف المليون. ولكن مهما حاول السوفيات فإن المقاومة ستظل مشتعلة وستظل أصـوات المدافـع والنيران تـدوى والصواريـخ تنطلـق إلى أن يرحـل السـوفيات رغـم أن تكتيكاتهم الجديدة تهدف إلى إرهـاب المدنيـين وإجبـارهم علـى الهجـرة أو قبـول النظام الشيوعى.

طائرات الجيش الأحمر أبادت الجنود الروس حتى لايقعوا أسرى بأيدى المجاهدين:

أدان العالم الروسى زاخاروف الحائز على جائزة نوبل للسلام فى حديث للإذاعة الكندية ما نما إلى علمه من أن بعض الطائرات العمودية للجيش الأحمر الروسى قد أطلقت النيران فى **أفغانستان** على جنود روس وقتلتهم حتى لا يقعوا أسرى فى أيدى المجاهدين.

ومن موسكو وصلت التكذيبات الرسمية على الفور على لسان الجنرال بوريس جروموف قائد القوات الروسية فى **أفغانستان** والذى نفى على صفحات جريدة "أزفستيا" أنه لم ير فى حياته أبدا الجنود السوفيت يطلقون النار على إخوانهم! "أؤكد جازما أنه لم يقع أبدا مثل هذا الحادث الوحشى". كانت هذه كلمات جروموف الحرفية بما يعنى النفى القاطع الجازم لتصريحات زاخاروف.

ولكن زاخاروف أصدر من بوسطن بيانا عن طريق صهره الذى يقيم معه وهو (أفريم ياتكلوفيتش) يوضح فيه أنه لاينوى مطلقا أن يتراجع عن تأكيداته حيث لا يملك أى دافع قوى يجبره على التراجع. ورغم ذلك لا يملك زاخاروف أى دليل قاطع على صدق تأكيداته. لكن صهره - الذى يقوم بعمل المتحدث الرسمى له - قال:إن هذه الأخبار مستقاة من تصريحات الجنود السوفيت الذين وقعوا أسرى فى أيدى المجاهدين، ولهذا فإن زاخاروف يرى أنها ما تزال صالحة حتى تظهر أدلة مقنعة خلاف ذلك.

ناقد لا يلين:

ولأن زاخاروف يواصل دوره كناقد لا يلين للمجتمع الروسى ولا يتجاوز عن قناعاته فى سبيل أية مكاسب على حساب دفاعه عن الحقيقة، فقد جاء النبأ من موسكو يعلن إلغاء ترشيح زاخاروف نهائيا من جانب أكاديمية العلوم السوفيتية لانتخابات المجلس الجديد للنواب. وما تزال تصريحات زاخاروف تثير ضجة كبيرة توشك أن تتحول إلى إدانة له وتسبب له حرجا بالغا. فقد قالت صحيفة "كوزمولسكايا برافدا" إنه قد بنى تأكيداته على أخبار صحيفة غربية، وقال فى حديث لنفس الصحيفة: أنه لا يستطيع أن يذكر أسماء أشخاص يستطيعون تأكيد هذه الأخبار. لكنه أكد فى نفس الوقت أن حوادث المذابح لها شهود عيان حقيقيون.

وكانت صحيفة "كوزمولسكايا" قد أجرت الحديث مع زاخاروف هاتفيا من الولايات المتحدة الأمريكية ونشرت إلى جانب الحديث تصريحا لمستشار جورباتشوف المارشال أخروميف قال فيه: "منذ عام ١٩٧٩م وحتى عام ١٩٨٨م وهى الأعوام التى كانت قواتنا موجودة خلالها فى **أفغانستان** عملت فى قيادة أركان الحرب وأعرف الأحداث المرتبطة بهذه العملية (غزو **أفغانستان**) بالتفصيل وعن كثب. وأعلن على مسئوليتى أنه لم يقع أى حادث من النوع الذى أشار إليه زاخاروف. ولم تقم طائراتنا العمودية مطلقا بإبادة مجموعة الجنود المحاصرين. فإذا كان العالم الأكاديمى زاخاروف قد أعلن غير هذا فإن ما أعلنه لا يتفق مطلقا والحقيقة".

أين الحقيقة ؟!..

وبالطبع ليس من المتوقع أن تعلن الجهات الرسمية فى روسيا عن الحقيقة ناصعة، وليس من المتوقع أيضا أن تترك زاخاروف يصرح بهذه الأشياء الخطيرة دون تكذيب وتبقى للتاريخ مهمة الكشف عن الحادث الذى وقع وحجمه وملابساته.

القوات السوفياتية تفشل فى قطع الإمدادات المتوجهة إلى المجاهدين:

فشلت القوات السوفياتية فى قطع طريق الإمداد عن المجاهدين الأفغان خلال هجوم خسرت فيه العديد من القتلى، وأدى إلى تعكير علاقاتها بالحكومة الأفغانية. إن السوفيات اتبعوا "خطة أكثر إقداما" وهم يركزون جهودهم الآن على قطع الطرق المؤدية إلى باكستان. لكن ثبت فشل هذه الإستراتيجية وعدم تأثيرها على وضع المجاهدين السياسى والعسكرى بشكل عام فى **أفغانستان** مع أن الهجمات السوفياتية لعام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ) بدأت مبكرة أكثر من السنوات الماضية وذلك بسبب الأحوال الجوية الهادئة. لقد بدأت عمليات عسكرية سوفياتية ضد المجاهدين الأفغان فى المقاطعة الشرقية **لأفغانستان** فى إطار إستراتيجية تهدف إلى التخفيف من تدفق الرجال والأسلحة إلى **أفغانستان** قبل حلول الربيع وموسم هجمات المجاهدين على القوات المحتلة.

إن هـذا التكتيـك السـوفياتى الجديـد لم يـؤد إلى نتيجـة و لم يؤثـر علـى القـوة العسكرية للمجاهدين الأفغان. وتعتبر بشاور القاعدة الأساسية للمجاهدين الأفغان ينطلقون منها فى نضالهم لطرد ١٥٠ ألف جنـدى سـوفياتى يحتلـون بلادهـم منـذ ديسمبر عـام ١٩٧٩م (صفـر ١٤٠٠هـ). إن الخطـة العسـكرية الجديـدة للقـوات السوفياتية كلفتها المزيد من الخسائر فى المعدات والرجال.

إن السوفيات يشتكون من ضعف قدرة القوات الحكومية الأفغانية وترددها فى التصدى للمجاهدين. إن المجاهدين فى وادى لوجر جنوبى العاصمة وحول بغمـان وهو منتجع جبلى فى الشمال الغربى تلقـوا فـى الآونـة الأخـيرة إمـدادات جديـدة ووصول القوافل الجديدة المحملة بالإمدادات مع انتهاء فصل الشتاء يثبت أنـه ليـس بوسع الهجمات السوفياتية قطع خطوط الإمـداد إلا بصفـة مؤقتـة بدليـل أن قافلـة أسلحة يرافقها عدة مئات من المجاهدين وصلت فى الآونة الأخيرة إلى أعلـى وادى لوجر وهو منطقة شن الهجمات على كابل. وقد أدت الغارات الشيوعية المتكـررة إلى فرار السكان من الوادى. كما نجحـت عـدة قوافـل أخـرى فـى تجنـب المواقـع العسكرية السـوفياتية فـى وادى وردك إلى الجنـوب الغربـى وواصلـت طريقهـا إلى شمال **أفغانستان**. والقوات الأفغانية والسوفياتية تركزت فى بكتيا الإقليم الحـدودى الذى غالبا ما يستخدمه المجاهدون المتسللون مما أدى إلى ترك باقى الطرق مفتوحة.

إن مستشفيات كابل تغـص بجنـود جرحـوا فـى خوسـت وهـى حاميـة بكتيـا بالقرب من الحدود وعشرات من طائرات الهليكوبتر الأفغانية والسـوفياتية غـادرت

طرق وممرات توصيل الأسلحة إلى أفغانستان

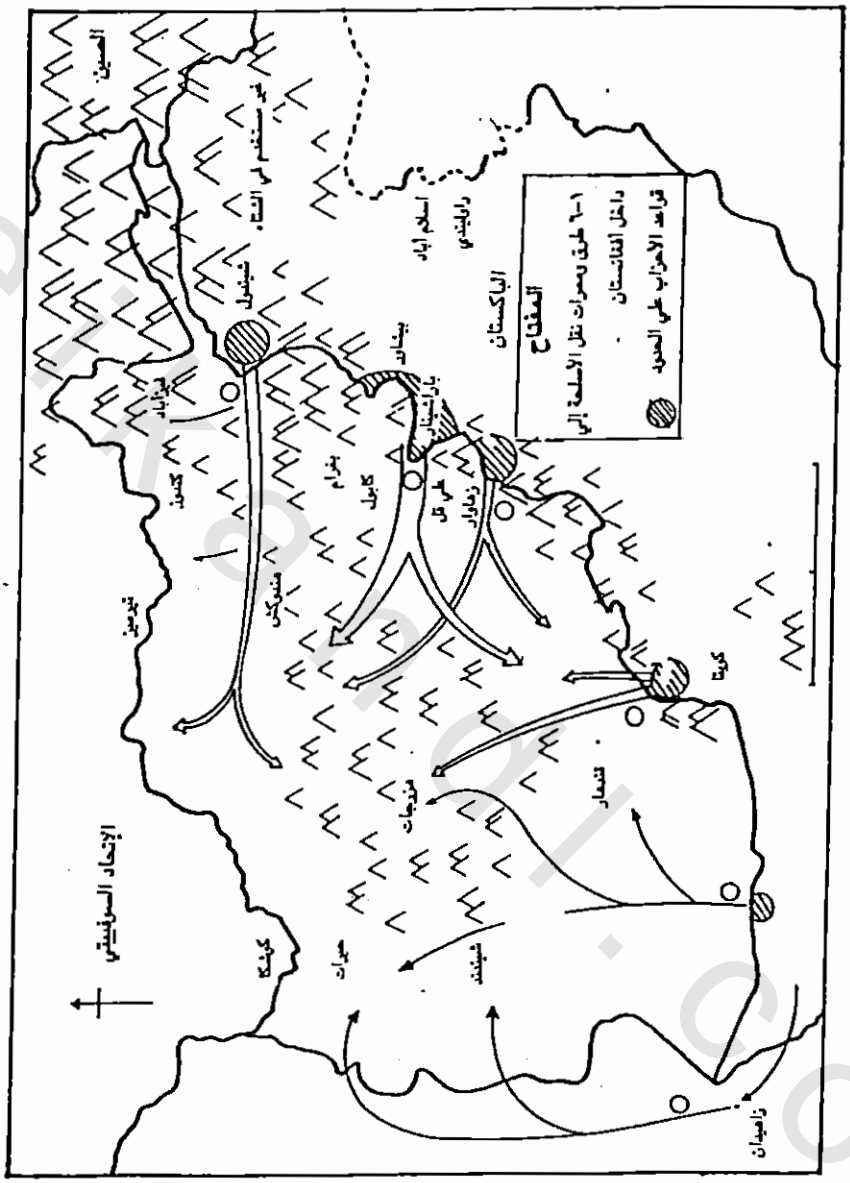

كابل لمساندة حملة برية سوفياتية حول ميدان شهر وهى مدينة تبعد ٥٠ كيلومترا جنوب غربى كابل تلتف من حولها قوافل المجاهدين فى طريقها إلى الشمال. من ناحية أخرى تمكن المجاهدون الأفغان من أسر ثلاثين جنديا من رجال المظلات السوفيات الذين تم إنزالهم بالقرب من بلدة سروبى إلى الشرق من العاصمة كابل، ونقلوهم إلى مكان مجهول. وقال شهود عيان إن قتالا عنيفا يدور حاليا بالقرب من نازيان فى محافظة ننجرهار بين المجاهدين والقوات الحكومية هناك وأن القوات السوفياتية قامت مؤخرا بعملية فى ضواحى مدينة خوست حيث يصمد نحو ٦٠٠ من المجاهدين ضد الغزاة. وذكروا أن ستة انفجارات على الأقل وقعت فى كابل يوم ٢٤ فبراير ١٩٨٦م (١٧ جماد الثانى ١٤٠٦هـ) وأن الأنباء تحدثت عن قتال جرى فى عدة مناطق من العاصمة، وأن عشر قذائف أطلقت على قاعدة عسكرية بالقرب من مطار كابل وعلى مجمع سوفياتى أفغانى فى شاه شهيد.

ونقل الدبلوماسيون عن أنباء من داخل **أفغانستان** إن المجاهدين أسقطوا طائرة هليكوبتر حربية سوفياتية فى الحادى والعشرين من هذا الشهر (فبراير) شرق مطار كابل وأن أربعة من السوفيات قتلوا فى الحادث. وأضافت المصادر بأن طائرتى هليكوبتر سوفياتيتين أخريين أسقطتا وتم تدمير أربع عشرة دبابة خلال قتال عنيف بين القوات السوفياتية والأفغانية الشيوعية وبين المجاهدين الأفغان بمحافظة فراه فى العاشر من شهر فبراير ١٩٨٦م (الأول من جماد ثان ١٤٠٦هـ).

جورباتشوف يفتتح مؤتمر الحزب الشيوعى بهجوم على بريجنيف:

بدأ المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفياتى أمس الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٨٦م (١٦ جماد ثان ١٤٠٦هـ) فى الكرملين بهجوم عنيف صبه ميخائيل جورباتشوف على نظام حكم بريجنيف. وانصب هجومه على الصعيد الدولى على الولايات المتحدة التى وصفها بأنها "مركز الإمبريالية فى العالم". وصرح الرجل الأول فى الاتحاد السوفياتى وسط تصفيق ٤ آلاف و٩٩٣ من المندوبين و١٥٢ من الوفود الأجنبية بأن رأسمالية الثمانينات هى "أبشع وأخطر شياطين القرن العشرين".

وسيكون هذا المؤتمر، الذى يعقد بعد ثلاثين عاما من قضاء نيكيتا خروتشوف على "النزعة الستالينية" مناسبة يتمكن فيها جورباتشوف من إظهار انتصار خطه السياسى بعد أن تمكن خلال عام واحد من تدعيم سلطته على كافة المستويات فى الحزب والدولة. ومن المقرر أن يقدم جورباتشوف، عقب انتخابات مجلس السوفيت الأعلى وإقرار جدول الأعمال، تقريرا يتضمن نشاط اللجنة المركزية منذ المؤتمر السادس والعشرين الذى عقد فى شهر فبراير (شباط) ١٩٨١م (شهر ربيع أول ١٤٠١هـ). وقد وقف الحاضرون فى بداية المؤتمر دقيقة صمت تكريما للزعماء السوفيات الذين فارقوا الحياة منذ المؤتمر السادس والعشرين الذى عقد فى عام ١٩٨١م (١٤٠١هـ) وهو ليونيد بريجنيف ويورى اندروبوف وقسطنطين تشرنينكو.

ويتناول جدول أعمال المؤتمر إقرار صياغة جديدة لبرنامج الحزب ولائحته الجديدة وانتخاب أعضاء عدد كبير من الهيئات القيادية الجديدة فى اليوم الأخير للمؤتمر ٦مارس ١٩٨٦م (٢٥ جماد ثان ١٤٠٦هـ). وفى فقرة قصيرة خصصت للعلاقات داخل المعسكر الاشتراكى استخدم جورباتشوف عبارة حول "التباين والتدرج اللانهائى" لتطور هذه العلاقات مشيرا بذلك إلى أن موسكو تقبل أن يتمتع شركاؤها فى الكوميكون وحلف وارسو بقدر من التصرف الذاتى.

وعلى الصعيد الداخلى انتقد جورباتشوف بشدة عهد ليونيد بريجنيف وإن كان لم يذكره بالاسم. وندد جورباتشوف بتخاذل الجهاز الاقتصادى وبما يتسم به من قدم وعدم مواكبته للعصر بالبيروقراطية التى كانت تعرقل نمو الاتحاد السوفياتى وتطوره، وقت توليه السلطة فى مارس (آذار) ١٩٨٥م (٩ جماد ثان ١٤٠٦هـ)، ونسبت هذه الاتجاهات غير المواتية إلى "أسباب ذات طابع شخصى". وقال إنه "على مدى أعوام طوال وليس فقط بسبب عوامل موضوعية وإنما لدواع شخصية فإن النشاط العملى لأجهزة الحزب والدولة يعانى من تأخر بالنسبة لمتطلبات العصر والحياة ذاتها".

سفراء الدول الأوربية بالأمم المتحدة يستقبلون وفد المجاهدين الأفغان:

استقبل سفراء الدول الاثنتى عشرة الأعضاء فى السوق الأوربية المشتركة أمس الأول الثلاثاء ٥ نوفمبر ١٩٨٦م (٣ ربيع أول ١٤٠٦هـ) وفد زعماء المجاهدين

الأفغان الذين توجهوا إلى نيويورك بمناسبة مناقشة الجمعية العامة للقضية الأفغانية وقد أيدت الجمعية هذا العام أيضا بالإجماع انسحاب القوات السوفياتية من **أفغانستان** فورا. وهذه أول مرة يستقبل فيها ممثلوا دول السوق وفدا للمجاهدين الأفغان. وقد رأس الاجتماع تيموثى ايجار مساعد وزير الخارجية البريطانية الذى ألقى كلمة دول السوق خلال المناقشة. وقد أكدت الدول الإثنتا عشرة "الجهود التى تبذلها أحزاب المعارضة المجتمعة فى إطار الائتلاف الذى شكل فى العام الماضى لاطلاع المجتمع الدولى على الوضع الحقيقى فى **أفغانستان**".

والزعماء الستة الذين اشتركوا فى اللقاء هم مولوى محمد نبى محمدى (انقلاب إسلامى) وصبغة الله مجددى (جبهة التحرير الوطنى) وأحمد جيلانى (المحاذ الإسلامى) ومحمد يونس خالص (حزب إسلامى) وإحسان جان (جمعية إسلامية) وعبد القادر كرياب (حزب إسلامى حكمتيار).

من جهة أخرى صرح "ايجار" للصحافيين بأن تصويت الجمعية العامة حول المشكلة الأفغانية كان هزيمة واضحة جدا للاتحاد السوفياتى الذى شن حملة مكثفة هذا العام فى محاولة للتأثير على نتائج هذه المناقشة. وقال إن هذه الحملة " لم يكن لها أى تأثير" وأضاف أن الكثير من الناس يعتقدون أن انسحاب ستة فيالق سوفياتية نظم بحيث يتزامن مع مناقشة الجمعية العامة.

وقد وصفت تركيا كفاح الشعب الأفغانى ضد الاحتلال السوفياتى بأنه يشكل رمزا لشخصية وكرامة هذا الشعب. وطالبت بإيجاد حل عادل ودائم للمشكلة الأفغانية فى أقرب وقت ممكن وتنفيذه بصورة فعالة. وأشار نائب

مندوب تركيا فى خطاب له فى الأمم المتحدة إلى أن المشكلة الأفغانية مازالت تشكل موضوع خلاف هام بين الشرق والغرب. كما أكد أن إيجاد حل سلمى لهذه المشكلة لن يعود بالفائدة على الاستقرار الإقليمى فحسب وإنما سيؤثر إيجابيا على العلاقات الدولية أيضا. وشدد نائب المندوب التركى فى خطابه الذى أورده راديو أنقرة على ضرورة إيجاد حل تسوية للاجئين الأفغان الذين اضطروا لمغادرة بلادهم والبالغ عددهم خمسة ملايين لاجئ.

أسلحة المجاهدين الأفغان تشل قدرات ١١٥ ألف جندى سوفيتى:

قررت إدارة ريجان إرسال مدافع (مورتر) بعيدة المدى وأجهزة الكشف عن الألغام إلى المجاهدين فى **أفغانستان** لمساعدتهم فى حصار القواعد السوفيتية والأفغانية الحكومية. وقد جاء هذا القرار - كما تقول الإدارة ومصادر أخرى - فى أوائل صيف ١٩٨٧م (١٤٠٨هـ) حتى قبل فشل الجولة الأخيرة فى المحادثات فى جنيف بين كابل وإسلام آباد. وأكد النائب الديمقراطى الأمريكى تشارلز ويلسون من تكساس وهو مؤيد قوى للمجاهدين الأفغان توقع الوصول إلى الأسلحة الجديدة إلى المجاهدين مع بداية تساقط الثلوج هناك **بأفغانستان** فى أكتوبر أو نوفمبر القادمين من ١٩٨٧م (صفر أو ربيع الأول ١٤٠٨هـ).

ويعكس القرار تقديرا عاما للحكومة الأمريكية بأن الاتحاد السوفيتى فى حين يتوق إلى إخراج قواته وعددها ١١٥ ألف جندى من **أفغانستان** فإنه لم يتخذ بعد القرار بذلك خوفا من هزيمة الحكومة الأفغانية الضعيفة على يد المجاهدين. وكان

المجاهدون الأفغان يسعون بقوة للحصول على هذه الأسلحة حتى يتمكنوا من فرض حصار محكم على ثمانى قواعد سوفيتية جوية رئيسية وثلاثين حامية سوفيتية - أفغانية حكومية مشتركة صغيرة بها مهابط للطائرات موزعة فى أنحاء **أفغانستان**.

وكان وزير الخارجية الأمريكى جورج شولتز قد أجرى محادثات مطولة مع وزير الخارجية السوفيتى ادوارد شيفاردنادزه حول الوضع فى **أفغانستان** لكنه قال "إنه لم يحدث أى تحرك بشأن تحديد موعد لانسحاب القوات السوفيتية".

أثر صواريخ (ستنجر) فى سير الحرب:

وفى تقرير لمدى أثر وفعالية الأسلحة والصواريخ الأمريكية فى حرب **أفغانستان**.. قال "أوليفييه روا" - وهو خبير فرنسى فى شؤون **أفغانستان** - إن فاعلية الصواريخ الأمريكية المضادة للطائرات من نوع "ستنجر" مكنت المقاومة الأفغانية من إقامة معاقل حقيقية لا يقترب منها الجيش السوفيتى الذى يقتصر دوره على الدفاع عن المدن الكبرى ومحاور الاتصالات. وقد عاد (روا) من **أفغانستان** بعد أن قضى شهرين ونصف الشهر وهو باحث بالمركز الوطنى للبحث العلمى وعمره ٣٨ عاما وقطع أثناء رحلته أكثر من ألف كيلومتر وأكد أن "فعالية الصاروخ" "ستنجر" تغير المعطيات تغييرا هائلا وذلك يعنى أن المقاومة تستطيع حماية نفسها بفضل هذه الصواريخ "ستنجر". وقال "أوليفييه روا" إن الخسائر السوفيتية لم تعد فى ازدياد لأن السوفيت لا يبعثون بأى طائرة أو طائرة هليكوبتر إلى المناطق التى توجد فيها صواريخ "ستنجر". و لم يشاهد (روا) أى طائرة

هليكوبتر ولكنه شاهد "طائرات نفاثة" فقط فى الأقاليم الستة التى اجتازها وهى بكتيا وغزنه ووردك وبغلان وتخار وبدخشان. الواقعة من الجنوب إلى شمال غرب كابل. و لم يتخذ احتياطات إلا عند مروره فى طرق مرصوفة فى شمال البلاد.

صمود المجاهدين وانحسار الاحتلال:

ولاحظ "أوليفييه روا" أن طائرات الهليكوبتر اختفت من السماء الأفغانية إلا عند مهاجمة مسعود وهو القائد الشهير فى حزب (جمعيت إسلامى) ويتمركز فى شمال شرقى البلاد فليست عنده صواريخ (ستنجر) كما تتولى هذه الطائرات حراسة القوافل. وقال روا: "لقد تمركز السوفيت فى المدن الكبرى وبعض محاور الطرق وأعطوا الأولوية للطريق بين كابل والاتحاد السوفيتى".

وأضاف "روا" أن "السوفيت لا يشنون الآن أى هجوم إلا للتخلص من موقف ما ويسعون إلى تجنب الخسارة البشرية ويدافعون عن مواقعهم مستخدمين مدفعيتهم ذات الدقة الهائلة فى التصويب".

وأوضح "روا" أن رجال المقاومة يحتلون كل الأماكن التى تركها السوفيت ولكنهم يواجهون صعوبة كبيرة فى وضع خطة إستراتيجية منسقة لمهاجمة المناطق الحيوية التى انزوى فيها السوفيت ويرى "روا" أن الأمور قد عادت إلى الوضع السائد قبل عامى ١٩٨٤م، ١٩٨٥م (١٤٠٤هـ، ١٤٠٥هـ) اللذين كانا فترة عصيبة شهدت الهجمات السوفيتية الكبيرة وذلك بسبب استخدام الكوماندوز المحمولة جوا على نطاق واسع. ويبدو أن السوفيت لم يحددوا بعد خطة يتبعونها

هل هى الحرب أم التفاوض ولذلك فإنهم ينتظرون فى مواقعهم. وذكر "روا" أن الجيش الحكومى يشكل فشلا ذريعا أما البوليس السرى "الخاد" والقوات شبه العسكرية التابعة لوزارة الداخلية والميلشيات المحلية التى انضمت إلى صفوف النظام للأسباب قبلية فإنها فعالة. ولاحظ الباحث الفرنسى تحسنا كيفيا وكميا فى تسليح المجاهدين وقال إن لديهم مسلحون بل إن لديهم فائضا من الأسلحة وأضاف: هناك كم هائل من الأسلحة لدى المجاهدين وقد انتهى النقص فى هذا المجال واختفت بنادق (لى انفليد) الإنجليزية القديمة وأصبح الجميع مسلحين ببنادق كلاشينكوف.

وهذه هى سابع رحلة تستغرق عدة أشهر يقوم بها (روا) إلى **أفغانستان** منذ عام ١٩٧٩م (عام ١٤٠٠هـ) وقد تنقل روا منذ منتصف يوليو إلى نهاية سبتمبر مع عدة مجموعات من رجال المقاومة.

أفغانستان حرة من الاحتلال الأحمر:

أكد التليفزيون السوفيتى مجددا أن الانسحاب السوفيتى من **أفغانستان** سينتهى خلال ساعات، أى قبل يوم واحد من المهلة المحددة فى اتفاقات جنيف. وقال معلق التليفزيون السوفيتى إن آخر جندى سوفيتى سيغادر **أفغانستان** الثلاثاء مكررا بالتالى تأكيدات فى هذا المعنى أعطاها رئيس قيادة أركان القوات المسلحة السوفيتية ميخائيل مويسييف. وأفادت وكالة الأنباء الرسمية (تاس) أن الجندى السوفيتى الأخير الذى سيغادر **أفغانستان** (فلاديمير ريابينين) انضم يوم الإثنين الماضى إلى وحدته التى تضم ٤٥٠ رجلا مكلفين بالإشراف على أمن طائرات

"ايليوشن ٧٦" التى تنقل المواد الغذائية إلى كابل. وأضافت الوكالة أن قافلة من المواد الغذائية والمحروقات وصلت أيضا إلى كابل عبر ممر (سالانج) الذى يسيطر عليه المجاهدون.

وتشير أرقام رسمية إلى أن مائة ألف و ٣٠٠ جندى سوفيتى كانوا منتشرين فى **أفغانستان** فى مايو ١٩٨٨م (رمضان ١٤٠٨هـ) حين بدأ الانسحاب التدريجى. ومن جهة أخرى قرر قادة المجاهدين الأفغان تصعيد الجهاد خلال انسحاب القوات السوفيتية البالغ عددها ١١٥ ألف جندى.. من **أفغانستان** الذى يبدأ فى ١٥ مايو ١٩٨٨م (٣ رمضان ١٤٠٨هـ) وأكدوا أنه سيتم إسقاط النظام الموالى للسوفيات فى كابل بعد شهرين من انسحاب الجيش الأحمر.

وفى مقابلة مع وكالة فرانس برس قال أحمد شاه رئيس حكومة المجاهدين التى تتخذ من بشاور مقرا مؤقتا لها: "نحن لا نبالى فى حال انسحب "السوفيات" فى الخامس عشر أو السادس عشر من مايو أو لم ينسحبوا. إن خطتنا تقضى بمواصلة الجهاد." وقال فى لهجة هادئة ورصينة: "نحن مصممون بشدة على مواصلة الجهاد...".

من جهة ثانية أفاد رئيس تحالف أحزاب المقاومة الأفغانية السبعة قلب الدين حكمتيار أمس الأول فى راوالبندى - بالقرب من إسلام آباد - فى مؤتمر صحفى أن المجاهدين يستعدون للقيام بعمليات هامة ضد القوات السوفيتية خلال انسحابها وأنه لا يضمن إطلاقا سلامة المراقبين التابعين للأمم المتحدة.

موسكو مستعدة لمفاوضة المجاهدين:

أشار جان فرنسوا دنيو المكلف من قبل الحكومة الفرنسية بمهمة تقويم المشكلة الأفغانية إلى أن السوفيت لا يعارضون مبدأ إجراء اتصالات مباشرة مع المقاومة الأفغانية فى مفاوضات جنيف. وكان دينو وصل موسكو وأجرى فى شكل خاص محادثات مع النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتى يولى فورنتسوف استغرقت أربع ساعات كما التقى الأكاديمى أندريه ساخاروف. ونقل دنيو عن فورنتسوف تأكيده أن الحكومة السوفيتية تلعب "أوراقها مكشوفة" وتعتبر أنها لن تتحمل المسئولية فى حال عدم توصل الجولة المقبلة من مفاوضات جنيف إلى تسوية للمشكلة الأفغانية. من جهته كرر دنيو موقف الدول ال١٢ الأعضاء فى المجموعة الاقتصادية الأوربية وقال إنها مستعدة للمساعدة فى إيجاد حل إيجابى.. لكنه لفت النظر إلى أن هذا الأمر يتطلب إقامة حكومة تتمتع بالمصداقية فى كابل وأضاف متوجها إلى الصحفيين فى ختام زيارته أن حكومة لا يمكن الشك باستقلاليتها هى مفتاح حل المشكلة.

وقال دنيو إضافة إلى مفاوضات جنيف يجب إقامة اتصالات مباشرة بين الاتحاد السوفيتى والمقاومة. لأن المشاكل الحقيقية ذات طابع عسكرى وتدور بين الجيش السوفيتى والمقاومة ولكن أيا منهما ليس موجودا فى جنيف. وأكد أنه يتعين على موسكو التباحث مع الذين يمسكون بالسلطة الحقيقية لأن فى هذا وسيلة لتجنب إراقة الدماء بعد انسحاب القوات السوفيتية.. وحسب قول دنيو فإن السوفيت لا

يعارضون مبدأ الاتصالات المباشرة مع قادة المجاهدين كما أن المقاومة مستعدة للحوار مع السوفيت على حد اعتقاده.

هذا وعلى الصعيد الأمريكى قال نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكى روبرت بيك إن الحكومة الأمريكية ستدعم المجاهدين ما لزم الأمر حتى تتأكد من أن كل القوات السوفيتية اسنحبت من هذا البلد. وأشاد بيك الذى كان يدلى بشهادته أمام لجنة فى الكونجرس بالقرار الأخير لبعض قادة المقاومة الأفغانية قبول حكومة انتقالية يمكن أن تشمل أعضاء غير شيوعيين لكن مؤيدين لموسكو موجودين حاليا فى السلطة فى كابل.

هل ينتقل نجيب الله إلى مزار شريف:

يشكل إقليم مزار شريف الواقع شمال **أفغانستان** على الحدود مع جمهورية أوزبكستان معقل النفوذ السوفيتى فى هذا البلد خصوصا وأن اقتصاده مرتبط بالمبادلات مع الاتحاد السوفيتى. وذكرت مصادر دبلوماسية فى **أفغانستان** أن هذا الإقليم وهو أغنى أقاليم **أفغانستان** قد يتحول إلى معقل لقادة النظام المؤيد للسوفيت فى كابل فى حال انعدام إمكانية استمرارهم فى العاصمة الأفغانية لكن هذا يبقى مجرد فرضية حتى وإن كان مسئولون فى الحزب الشيوعى الأفغانى قد أرسلوا عائلاتهم لتمضية العطلة.. فى مزار شريف. وقد أشار دبلوماسى غربى فى كابل الأسبوع الماضى إلى أن بعض هذه العائلات عاد أدراجه لأن هذه البلدة الريفية الكبيرة ليس فيها شئ من صفات العاصمة. وكانت مزار شريف حولت إلى عاصمة مؤقتة للبلاد فى آواخر القرن الماضى عندما بلغت الحرب بين الأفغان

والبريطانيين ذروتها. وكل شئ فى هذا الإقليم مصدره الاتحاد السوفيتى من إبريق الشاى الذى يباع فى السوق إلى المعدات الزراعية الثقيلة. وجميع السيارات والشاحنات التى تسير فى الشوارع الموحلة حيث تلتقى الجمال الآن مع الدبابات وهى تقريبا من صنع الاتحاد السوفيتى.

وكان هذا الإقليم الأفغانى قام العام الماضى بالتوقيع مباشرة على اتفاقات تعاون عديدة مع الجمهوريات السوفيتية من دون الحاجة إلى موافقة عاصمتى البلدين. ويمتلك هذا الإقليم الذى تزدهر فيه الزراعة ثروات كبيرة من الغاز الطبيعى وهو يتمتع بالإضافة إلى ذلك بأمن نسبى فسره أحمد فوز الله أحد المسئولين فى الجبهة الوطنية بقوله إن المجاهدين قليلو النشاط هنا وليس هناك سوى قرى خارج سيطرة القوات الحكومية.

وفى الواقع فإن مراكز الحراسة التابعة لقوات نظام كابل أقل منها بكثير فى كابل. ومع ذلك فإن البساتين الواقعة غرب مزار شريف والتى من السهل الاختباء فيها شهدت تضاعف عدد متاريس الطين التى أقامها الجنود على طول الطريق بشكل يمكن لكل موقع منها أن يرى الموقع التالى. وتطبق طائرات الشحن العسكرية السوفيتية والأفغانية التى تقلع من المطار تدابير أمنية صارمة. فعندما تحلق فوق المدينة فإنها ترمى بالونات حرارية لتضليل الصواريخ التى تعمل بالأشعة ما تحت الحمراء وكأنها تخشى من محاولات المقاومة القيام بهجوم وهى تختبئ فى منازل المدينة وفى المساء تقفر إلى شوارع المدينة ويسمع فيها أحيانا بعض الطلقات النارية التى يبدو أن مصدرها حراس اشتد توتر أعصابهم.

وأرسل كثيرون من الشباب لمتابعة الدراسة فى الاتحاد السوفيتى فى حين أن العديد من الكوادر يتكلمون الروسية. والأعضاء الشباب فى الحزب الذين لا يتركون الصحفيين الأجانب الذين يتجولون فى المدينة لحظة واحدة من أجل تسهيل اتصالهم بالسكان. أتموا دراستهم فى الاتحاد السوفيتى.

وقبل ٢٧ سنة بنى السوفيت مصنع الأسمدة الكيمائية رمز تصنيع البلاد وقاموا سنة ١٩٧٤م (١٣٩٣هـ) بتحديث هذا المصنع حيث تعطى جميع التعليمات فيه بالروسية ونادرا ما تترجم إلى اللغة المحلية الدرية. وكذلك فإن الجار العملاق هو الذى بنى مخازن القمح الضخمة.

وعلى الطريق المتجه إلى الحدود تقوم الدبابات الأفغانية بتأمين الحراسة لكميات ضخمة من المعدات الجديدة التى تضم تجهيزات عسكرية سوفيتية بالإضافة إلى جرارات زراعية وجرافات.

قراءة فى كتاب
" إعادة البناء " لجورباتشوف

أ - مدخل:

لأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى يوجه الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى، لا النائب العام فى وزارة العدل، الاتهام بجنايات تستوى والخيانة العظمى، وفق لما تعرفه من قوانين وأعراف وسوابق قضائية سوفيتية.

ولأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى يوجه الزعيم السوفيتى الأول الاتهام إلى عهود بأكملها لا إلى أشخاص معينين، وذلك إبتداء بعهد ستالين فعهد خروتشوف وبريجينيف ولا أقول عهدى أندربوف وتشيرنينكو، فهذان قد مرا بالتاريخ السوفيتى مرورا عابرا.

ولأول مرة يعلن ضبط الاتهام أن الدولة السوفيتية لن تلجأ فى تعاملها وأنصار تلك العهود إلى الإجراءات القمعية البوليسية ولا إلى المحاكم الاستثنائية الستالينية، حيث كانت الأحكام تصدر قبل المحاكمة، بل إنها ستقارع حتى التيارات الغربية، لا بل والمعادية للاشتراكية حجة بحجة، وستؤمن للحوار داخل الحزب وخارجه مناخا صحيحا توفره ديمقراطية حقيقية تستند عدالتها إلى وقائع موضوعية، لا إلى أهواء ذاتية أو مصالح سلطوية.

obeikandi.com

ولأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفياتى يستجيب زعيمه، الأمين العام للجنة المركزية إلى دار نشر أمريكية لا إلى اللجنة المركزية ولا إلى المكتب السياسى، فينشر مضبطة الاتهام ومنهج عمله حاضرا ومستقبلا فى كتاب. فجورباتشوف يقول فى الصفحة العاشرة من كتابه الذى نحن بصدده، أنه وضع كتابه بناء على طلب ناشرين أمريكيين وذلك رغبة منه فى اطلاع الرأى العام العالمى على وقائع الحقبة التاريخية الدرامية التى يعيشها اليوم الاتحاد السوفيتى.

ولعل من المفارقات غير المألوفة شيوعيا أو بالأحرى سوفياتيا أن يتم نشر وتوزيع كتاب الأمين العام للحزب الشيوعى خارج الاتحاد السوفياتى، وأن يجرى نشر (غسيل) الاتحاد السوفياتى على شرفات العالم الخارجى، بعد أن كان مثل هذا العمل سرا مغلفا بالأحاجى ومسورا بالألغاز. فحتى خطاب خروتشوف الذى ألقاه فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى وذلك فى شهر فبراير من عام ١٩٥٦م (شهر جمادى الثانى ١٣٧٥هـ) وحمل فيه الحملة الشعواء على ستالين وعهده، وخاصة على مذهبه عبادة الشخصية، أحيط بسرية تامة، وحتى بعد تسرب نصه لم ينشر بصورة رسمية، ولم يعرف العالم بأمره إلا بعد أن حصلت الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) على نسخة منه قدمتها إلى وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA.

ب - الكتاب والكاتب:

يحمل الكتاب الذى وضعه جورباتشوف عنوان إعادة البناء، أى RESTRUCTRING باللغة الإنجليزية وPERESTROIKA باللغة الروسية وقد

أصبح عنوان هذا الكتاب الشعار الأول الذى يرفعه اليوم الحزب والدولة السوفياتيان فى كل مجال وميدان. ويتضمن هذا الكتاب كما سبق لى القول نقدا عنيفا للأوضاع السائدة اليوم فى الاتحاد السوفياتى ومطالبة ملحة بالإصلاح فى شتى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية وسواها.

ويتألف كتاب غروباتشوف هذا من فصول سبعة وهى:

الفصل الأول : إعادة البناء، أصوله وجوهره وطباعه الثورى.

الفصل الثانى : الانطلاق.

الفصل الثالث : كيف نرى عالم اليوم.

الفصل الرابع : إعادة البناء فى الاتحاد السوفيتى والعالم الاشتراكى.

الفصل الخامس : العالم الثالث فى المجتمع الدولى.

الفصل السادس : أوربا فى السياسة الخارجية السوفياتية.

الفصل السابع : قضايا نزع السلاح والعلاقات السوفياتية الأمريكية.

ويصف جورباتشوف كتابه قائلا بأنه مجموعة من الأفكار والتأملات فى إعادة بناء بنية الاتحاد السوفياتى، وفى القضايا التى يجابهها وفى مدى التغيرات المستلزمة وفى تعاقيدها وفى المسئوليات المترتبة علينا فى هذه الحقبة من تاريخنا.

ويستطرد جورباتشوف فيقول:

"إن كتابى هذا يحدد أهدافنا وسبلنا إلى بلوغها. وهو فضلا عن ذلك دعوة مفتوحة إلى الحوار. ولقد خصصت جزاءا كبيرا منه لعرض فكرنا السياسى الجديد وإيضاح فلسفة سياستنا الخارجية" ويسترسل جورباتشوف قائلا:

"وإن كتابى هذا إذا ساعد فى تدعيم الثقة بين الدول فإنه عندئذ يكون قد حقق الغاية التى توخيتها من وراء وضعه".

ومن ثم يقول جورباتشوف متسائلا:

"وما الذى يعنيه مصطلح "إعادة البناء"؟ ولماذا نحن بمسيس الحاجة إليه؟ وما هو جوهره وأهدافه؟ وكيف تجرى عمليته؟ وما هى نتائجه بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتى والمجتمع الدولى؟".

ويخلص جورباتشوف إلى القول:

"إن هذه جميعا أسئلة مشروعة وطبيعية. وأن الكثيرين من الساسة ورجال الأعمال والعلماء والصحافيين والأساتذة والأطباء ورجال الدين والعمال والفلاحين يبحثون عن أجوبة لها. فهؤلاء مهتمون غاية الاهتمام بما نعنيه "بإعادة البناء" فى الاتحاد السوفياتى. فهذا المصطلح قد أصبح اليوم محور حياتنا الفكرية. ولا غرو فى ذلك فإن مستقبل وطننا ومصير شعوبنا أصبحا مرهونين لهذا الشعار...".

ذلك ما يقوله جورباتشوف عن كتابه "إعادة البناء" ولا خلاف أن كتابا ككتابه جدير بالتأمل والدرس. وليس ذلك فقط بسبب كون جورباتشوف زعيما لدولة عظمى، بل وأيضا بسبب ما يلمسه القارئ بين أسطر هذا الكتاب من ثورة أو بالأحرى من إسقاط لمعظم القوانين الأساسية التى تستند إليها الماركسية بماديتها الجدلية، أيديولوجية ونظاما، علما بأن كتاب جورباتشوف هذا يضج بالعديد من المتناقضات الناشئة عن فشل جورباتشوف فى التوفيت بين عالم الضرورة وعالم

الحرية، أى بين الحتمية وبين اللاحتمية. فجورباتشوف ما يزال بعيدا كل البعد عن الإيمان بأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، فضلا عن أن تركيب SYNTHESIS جدليته القائمة على الديمقراطية والفردية يتناقض شكلا وموضوعا واللينينية التى يحاول جورباتشوف أن يستظل بظلالها فى نقده لما هو قائم وفى تبريره لما يريد له أن يقوم.

ولكن مما يلفت النظر فى كتاب جورباتشوف كونه يكاد يتجاهل التجاهل التام ماركس وإنجلز، وحتى مصطلح الشيوعية، حيث يشعر القارئ بأن جورباتشوف يريد للقارئ أن ينسى ماركس والماركسية. لا بل وحتى الشيوعية كمصطلح ومفهوم، وأن يتجاوز حتى المادية بجدليتها ذات القوانين الثلاثة، وهكذا نراه يتأرجح لا بل يترنح بين الإصلاحية والثورية، بين الترميم والهدم.

ج - جورباتشوف:

من أى معدن صنع جورباتشوف هذا؟ ومن أين وكيف جاء؟ ومن جاء به، وكيف خرج فجأة من ظلام المغمورية إلى بؤرة الضوء؟ حيث أصبح قبيل وفاة تشيرنينكو بشهر واحد أى فى شهر فبراير من عام ١٩٨٥م (شهر جمادى الأولى ١٤٠٥هـ) يشغل وظائف عليا خمسة، وهى سكرتير اللجنة المركزية للاقتصاد، سكرتير شئون أعضاء الحزب، سكرتير القضايا الأيديولوجية، وزير الزراعة ووزير الصناعة الخفيفة. وكيف ولماذا أصبح وهو لما يتجاوز التاسعة والثلاثين من عمره عضوا فى مجلس النواب وذلك فى عام ١٩٧٠م (١٣٨٩هـ)، وكيف جرى انتخابه فى عام ١٩٧١م (١٣٩٠هـ) وفى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب

الشيوعى عضوا فى اللجنة المركزية للحزب. ومن ثم أصبح فى عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) عضوا مناوبا فى المكتب السياسى، وسرعان ما أمسى فى عام ١٩٨٠م (١٤٠١هـ) عضوا أصيلا فى ذلك المكتب وبعد وفاة تشيرنينكو بأربع وعشرين ساعة فقط، أى فى اليوم الحادى عشر من شهر مارس من عام ١٩٨٥م (١٩ جمادى الثانى ١٤٠٥هـ)، وفى جلسة استثنائية عقدتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى والبالغ عدد أعضائها ثلاثمائة وسبعة أعضاء (٣٠٧)، جرى انتخابه أمينا عاما لتلك اللجنة؟ إن جميع تلك الوقائع المذكورة أعلاه تجعلنا نتساءل عما إذا كان جورباتشوف يتمتع حقا بتلك الشخصية الجذابة CHARISMATIC القادرة على استهواء الناس وقيادتهم وتحويلهم عن معتقداتهم وأفكارهم وإقناعهم بما تقدمه لهم من أهداف وغايات عليا، وهل أن لجورباتشوف تلك الشخصية الزعامية القادرة على أن تضمن لنفسها طاعة الناس وولاءهم دون أن تلجأ إلىاستخدام سلطان القوة من قمع وقهر كما يقول جورباتشوف ويعد فى كتابه؟ وهل يستطيع جورباتشوف اقتلاع جذوره من تربة البيروقراطية أى الطبقة الجديدة التى حكمت وتحكم الاتحاد السوفياتى منذ عهد ستالين حتى هذا اليوم؟ أم إن جميعا يعلم أن جورباتشوف منذ ولد وترعرع فى كنف البيروقراطية التى كانت وستبقى كما يقول ماكس فيبير MAX WEBER عاجزة عن الإرتفاع إلى مستوى الأزمات والطوارئ، لأنها لا تستطيع العمل إلا فى ظروف الطمأنينة والاستقرار.. إن فريدريك نينشة يتهم عصرنا بفقدان عظمة النفس وبإنجاب صغار القدم بدلا من الأبطال.. فهل سيكون جورباتشوف ذلك البطل الذى سينتصب ثائرا على ماهو قائم فى بلاده وسيفرض سلطانه بقوة شخصيته، أو عبقريته؟ إن

جورباتشوف يقول فى كتابه إنه جاء للقضاء بخاصة على البيروقراطية السياسية المسئولة عن كل ما يعانيه اليوم الاتحاد السوفيتى من تخلف وركود لا بل جمود.

د - من جاء بجورباتشوف:

قد لا يعرف البعض أن أربعة من كبار قادة الاتحاد السوفياتى هم الذين شقوا الطريق أمام جورباتشوف إلى منصبه الحالى. وأعنى بهؤلاء القادة فيدور كولاكوف FEDOR KULAKOV السكرتير الأول للحزب الشيوعى فى مقاطعة ستافروبول STAVROPOL موطن جورباتشوف، ويورى اندروبوف رئيس الاستخبارات السوفياتية ومن ثم الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى، وتشرنينكو خليفة اندروبوف فى زعامة الاتحاد السوفيتى، ولكن الأهم من هؤلاء جميعا كان ليونيد بريجينيف الذى أطاح بخروتشوف وحل محله فى زعامة الحزب، و لم يعف عن الاستيلاء حتى على منصب رئيس الدولة، على الرغم من أن هذا المنصب لا يوفر لشاغله أية سلطات أو مسؤليات، إذ أن رئيس الدولة فى الاتحاد السوفيتى، لا تزيد سلطاته عن سلطات ملكة بريطانيا، فهو يملك ولا يحكم. فكيف ولماذا شق على بريجنيف الطريق أمام جورباتشوف. بعد أن بلغ بريجينيف أعلى المناصب، أدرك أنه وأبناء جيله من القادة السوفيت باتوا يشكلون سدا فى وجه قوى اجتماعية جديدة. فالجيل الجديد الذى لم يتجاوز العقد الرابع من العمر يشكل ثمانين بالمائة من سكان الاتحاد السوفياتى البالغ عددهم ٢٨٨ مليونا. وقد قفز مثلا عدد خريجى المدارس الثانوية السوفياتية من ٣١ مليونا فى ١٩٦٥م (١٣٨٤هـ) إلى ١٠١ مئة وواحد مليون فى عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ)،

كما قفز خلال الفترة الزمنية ذاتها عدد خريجى الجامعات من ستة ملايين إلى سبعة عشر مليونا. وكان جيل الرفض REFUSENIX يذكر بريجنيف ورفاقه بأنهم لن يستطيعوا فى نهاية المطاف صد تيارات تلك القوة الجديدة. وأن هذه القوة ستجرف بسيولها كل سد أو عقبة تعترض سبيلها. وقد تيقن بريجنيف واندروبوف وتشيرنينكو من أن النظام القائم فى الاتحاد السوفياتى إذا لم يستطع احتواء هذه القوى فإنه سينهار حتما تحت وطأتها. وأدركوا أيضا أن الإطار الحالى للماركيسية السوفياتية لم يعد يتسع لاستيعاب المستجدات من القوى الاجتماعية والمتغيرات من الظروف والتيارات الفكرية، وأنه لا الأساليب اللينينية ولا الوسائل القمعية الستالينية ولا المصحات البريجنيفية قادرة على صد الثغرة التى فتحها خروتشوف فى السد الذى يعترض سبيل الجيل الجديد.

وهكذا وجدت بريجنيف متعاونا واندروبوف وتشيرنينكو يبحثون عن ولى عهد قادر على التعامل والقوى الاجتماعية الجديدة وعلى الخروج بالنظام من عنق الزجاجة، شريطة أن يكون ولى العهد المطلوب لم يكتهل بعد، إذ أنه بذلك سيكون غير غريب عن الجيل الجديد، ومن يطمح إلى إسقاط بريجنيف والحلول محله وقد وجدوا ضالتهم فى جورباتشوف. هذا ما يقوله جيرى هيو JERRY F.HUOGH فى المجلة الأمريكية الشهرية "قضايا الشيوعية" وهذا مما يكشف لنا أيضا السر الكامن وراء تلك السرعة النيزيكية فى قفز جورباتشوف إلى أعلى المناصب فى الحزب والدولة.

هـ - هل توطد سلطانه؟

يقول جورباتشوف فى الصفحة ٥٨ من كتابه ما يلى: "لقد قابلت الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر. وقد بادرنى بالسؤال عما إذا كنت واثقا من نجاح برنامجى الإصلاحى فى الميدانين الاقتصادى والسياسى. ولقد أجبته أننا قد بدأنا بعمل رئيسى وصعب للغاية فى الحقول الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية والروحية. وأن إعادة البناء يستأثر باهتمام جميع فئات المجتمع وهو ليس بالعمل السهل. ولقد تجاوزنا أهم مراحل مشروعنا هذا. ولا خلاف أننا نجابه كل يوم بقضايا جديدة...".

ذلك ما قاله جورباتشوف. غير أن مصيره سيتقرر فى المؤتمر الثامن والعشرين الذى سيعقده الحزب الشيوعى السوفياتى فى شهر يونيو من هذا العام (١٩٨٨م) (شهر شوال عام ١٤٠٨هـ) ومنذ أن أصبح جورباتشوف زعيما للدولة السوفياتية انطلق يستجمع القوى ويحشدها من حوله. وهو فى نشاطه هذا لم يتوجه إلى الجماهير الشعبية كما توجه خروتشوف من قبله، بل إنه يركز على حشد أكبر عدد من كوادر الحزب، ولا سيما فى المناطق الريفية حيث إن فروع الحزب فى تلك الأقاليم هى التى سيكون لها أكبر عدد من المندوبين لحضور مؤتمر الحزب العام الذى يقوم بانتخاب اللجنة المركزية للحزب. ولا خلاف أن جورباتشوف لا يزال حتى هذا اليوم يجابه معارضة لا يستهان بأمرها. ولعل أبرز لا بل أخطر معارضيه هو شهربتسكى SHEHERBYTSKYI زعيم الحزب الشيوعى فى أوكرانيا، أما فيما يتعلق بالعسكريين فلقد قطع جورباتشوف شوطا بعيدا فى

توطيد سلطانه داخل القوات المسلحة السوفياتية. إذ استطاع أن يحيط نفسه بمجموعة من كبار القواد العسكريين وعلى رأسهم الفريق أول ديمترى يوزوف المعروف بولائه المطلق لجورباتشوف، والذى عينه جورباتشوف وزيرا للدفاع بدلا من المارشال سيرجى سوكولوف، فضلا عن الفريق لوشيف LUSHEF النائب الأول لوزير الدفاع بالإضافة إلى الفريق أرخيبوف آمر منطقة موسكو العسكرية. زد على ذلك الفريق فلاديمير لوبوف LOBOV النائب الأول لرئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة. وكذلك الفريق يورى مكسيموف MAXIMOV القائد العام لقوات الصواريخ.

وقد اغتنم جورباتشوف حادثة هبوط الشاب الألمانى الغربى ماتياس روست MATHIAS RUST بطائرته الصغيرة فى الساحة الحمراء بعد أن طار فى الأجواء السوفياتية مسافة تبلغ سبعمائة كيلو مترا، ودعا جورباتشوف المكتب السياسى إلى اجتماع طارئ وعرض الأمر، وقد وافق المكتب السياسى على ما عرضه عليه جورباتشوف فانطلق يقيل بعض كبار الضباط ممن يشك فى ولائهم وينقل غيرهم إلى مناصب عسكرية غير ذات بال. ويرى المراقبون أن سيطرة جورباتشوف على القوات المسلحة تكاد تكون تامة. وقد بلغ شعوره بالقوة حدا جعله يصارح القادة العسكريين باستحالة أى طرف من الأطراف الانتصار فى حرب نووية، وأن المنطلق يستوجب أن تقوم الدول بنزع أسلحتها النووية. وقد أعلن أنه بصدد تحويل بعض المصانع العسكرية إلى مصانع مدنية تنتج سلعا استهلاكية. وأننا لا شك نذكر أن هذه النطقة التى ناد بها خروتشوف كانت سببا رئيسيا من أسباب إسقاطه. ويجمع المراقبون أن نجاح جورباتشوف فى ترقية صديقه ليوكانوف

LUKYANOV وتعيينه فى سكرتارية اللجنة المركزية للشئون الإدارية قد ضمن له رقيبا على الأشرطة السرية والاستخبارات (KGB) والقوات المسلحة أيضا.

ومع ذلك كله يبقى كما يقول المراقبون جورباتشوف عرضة لخطر الإطاحة به وبخاصة بعد أن ثبت أن المكتب السياسى قادر على الإطاحة بالأمين العام من منصبه، كما حدث مع خروتشوف. إذ أن خروتشوف لو لم يستنجد باللجنة المركزية للحزب و لم يدعوها إلى الاجتماع الطارئ لكان مولوتوف ومالنكوف وأعوانهما قد تمكنوا من عزله من منصب الأمين العام ومن اللجنة المركزية.

وعلى كل حال فإن جورباتشوف يخوض الآن معركة رئيسية تتمثل فى محاولته تعيين أكبر عدد ممكن من أنصاره فى كوادر الحزب فى الأقاليم، بغية ضمان وقوف الأكثرية إلى جانبه فى المؤتمر القادم الذى سيعقد فى شهر يونيو القادم. كما يتوجب عليه أن يحصل على مساندة اللجنة المركزية له، حيث إن هذه اللجنة ستجتمع مرتين قبل انعقاد مؤتمر الحزب العام.

ويتوجب عليه أخيرا أن يترقب نتائج صناديق الاقتراع التى ستقرر مصيره ومصير برنامجه الهادف إلى إعادة بناء بنية الاتحاد السوفيتى.

المراجع

- إعادة البناء تأليف جورباتشوف.
- مجلة قضايا الشيوعية عدد يوليو، أغسطس لعام ١٩٨٧م. وعدد سبتمبر، أكتوبر لعام ١٩٨٧م.
- روسيا بعد ستالين تأليف اسحق دويتشر.

- مفارقات التاريخ لنفس المؤلف.
- روسيا تأليف دفيد شبلر SHIPLER
- الأستاذ أحمد الشيبانى - صحيفة الرياض، ٢٨ فبراير ١٩٨٨م.

الاستحياء من الشيوعية:

إن الاستحياء من الشيوعية حدث لاشك كبير.. كبير الدلالة، وفى تاريخ الشيوعية، ذلك لأن الانتقادات القاسية والعنيفة التى وجهها جورباتشوف للمنهاج الشيوعى وهو ما لم يسبقه إليه أحد من منتقدى الشيوعية الأمر الذى اعتبره الخبراء فى شئون الاتحاد الروسى أول بادرة فى تاريخ الشيوعية تحمل فى طياتها انتقادا جادا لاتقف حدوده عند ترديد الأقوال الناقدة بل يتجاوزها إلى قيام الزعيم الروسى بتأليف كتاب يضمن انتقاداته لحالة التدهور والتراجع التى أصابت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى البلاد أصابتها فى المقتل بعد سبعين عاما من سيطرة النظرية الشيوعية على الحياة وتوجيهها إلى مسار ظهر فى نهايته أنه المسار الخطأ والمصير الأخطأ.

فالزعيم الجديد جورباتشوف الذى جاء إلى السلطة فى شهر مارس من عام ١٩٨٥م (شهر جمادى الثانى ١٤٠٥هـ) ما كاد يتسلم سلطاته حتى أظهر عدم الانسجام مع الأوضاع فى بلاده، وذلك من خلال تصريحاته التى حملت النقد المغلف لتراجع الاقتصاد وتدنى الإنتاج فى جميع احتياجات الحياة اليومية.. ومع مرور الأيام أخذت انتقادات الزعيم صفة العلن إلى جانب الحدة فى الأسلوب والأداء. وفى نقلة مفاجئة تحولت الانتقادات إلى نظريات جديدة فى الإصلاح

ضمنها جورباتشوف فى كتاب بعنوان "إعادة البناء" أفرغ من خلالها شعوره بالمرارة لما آلت إليه الحال فى بلد يملك سدس الكرة الأرضية من البرية، وأجود الأراضى الزراعية فى العالم، لكنه ظل عاجزا عن تأمين احتياجاته من الحبوب التى يستورد عشرات الملايين من الأطنان منها من خارجه ليسد حاجته.

وعلى الرغم من أن انتقادات جورباتشوف ظلت حذرة وحريصة على ترك القارئ لكتابه أن يستنتج فشل الشيوعية فى تلبية احتياجات الإنسان.. إلا أنه لم يستطع إخفاء غضبه واتهام تركيبة النظرية الشيوعية، وتحميلها مسئولية الإخفاق وذلك بصورة غير مباشرة، والرجل له عذره فى ذلك، فهو يحكم باسم النظرية التى تشكل قاعدة سلطاته.. ومع ذلك كان على قدر من الشجاعة والجرأة ليس فى مجال كشف الغطاء فحسب عن الفشل الذريع الذى كان حصيلة معاناة الإنسان الروسى التى حاول غلاة الشيوعية من خلالها إلغاء دور الإنسان فى حرية الاختيار التى تقوده إلى الخلق والإبداع.. بل إن الزعيم الجديد كشف عن إصراره على مواجهة خصومه الذين يدافعون عن القديم الذى يرون فى بقائه استمرار مكتسباتهم ولو على حساب الجماهير الكادحة، ويقول فى أحد مقاطع الكتاب: لقد اكتشفنا تباطؤ التنمية الاقتصادية، فالبلد الذى يملك أكثر الموارد الخام فى العالم بدأ يفقد مواقعه الصناعية الموقع بعد الآخر. وأكثر من ذلك فالهوة فى كفاءة الإنتاج ونوعية المنتجات والتطور العلمى والتقنى أصبحت تتسع ولكن ليس لمصلحتنا وأصبح الإنتاج يهتم بالكمية على حساب النوع.

لقد وصل الأمر بالبعض إلى تزييف الأشياء بإعطاء تقارير كاذبة عن إنتاج وهمى لا لشئ إلا لكى يحصل العمال على أرباح دون جهد مما تضاءل معه الحس

بالمسئولية وأدى إلى هبوط معدلات التنمية بشكل حاد. وازدادت الصعوبات أمام الناس وتدهور مستوى معيشتهم.. لقد أصبح أمرا صعبا أن يحصل الإنسان على احتياجاته الغذائية وعلى السكن المناسب.

ورغم ذلك فإن البعض ظل يحاول رسم صورة زائفة للأوضاع السائدة الزائفة وتلك إشارة واضحة من جورباتشوف إلى من سبقوه إلى السلطة الذين يتهمهم صراحة بالتستر على الأخطاء خوفا من أن يفقدوا مواقعهم التى يضمنها لهم تمسكهم بالنظرية الشيوعية وإن كانت تلك النظرية فى حقيقتها هى مصدر البلاء والشقاء والصعاب. ويمضى الكتاب فى سرد الحقائق لقد أصبح الفشل الاقتصادى فى مختلف المجالات يتكرر باستمرار وبدأت المصاعب تتراكم وتتضاعف المشكلات التى لا يمكن حلها، وبدأت بوادر الكساد تظهر فى حياة المجتمع الروسى.. لقد فرض على الناس تشجيع ظاهرة التمجيد مما أدى إلى ظهور من استثمروا معناة الناس وأثروا على حساب ذلك.

إن مثل هذا القول من زعيم أكبر دولة شيوعية لايمكن حمله على أنه تعبير عن الشعور بالمرارة نتيجة للإخفاق والفشل فى أن النظرية الشيوعية خدعت إنسانها وجعلته يعيش الوهم فحسب بل إن هذا لقول يكشف عن حقيقة لابد وأن يدركها كل من يملك بصيرة نيرة وهى أن الإنسان ليس كما أرادت أن تحوله الشيوعية إلى ترس فى آلة كبيرة تدور بدورانها، ويتوقف بتوقفها.. ليس من حقه أن يختار أبسط أموره خارج بوتقة النمط الشيوعى للحياة.. ولهذا كره إنسان

الشيوعية الحياة، وفقد قدرته على معايشتها لافتقاده حرية الاختيار التى تقوده إلى الإبداع والتطور من أجل البلوغ إلى حياة أفضل.

هذه بعض ضلالات الشيوعية وانخداعتها وانحرافاتها، وبعض القيود والسلاسل التى كانت تكبل بها الإنسان الذى خلقه الله حرا لينطلق فى الأرض محتضنا عقيدته، باحثا عن رزقه بإرادته الحرة.

إن هذا حدث لاشك كبير وغريب حدوثه فى دولة شيوعية. وهو أمر كبير الدلالة عظيم الأمر، جليل المغزى فى الصراع الدائر بين الشيوعية المادية وبين الأخذ بأسباب العزة الروحية الدينية فى روسيا الشيوعية، وهو أمر سوف تعقبه أمور فى غاية من الأهمية لأنها آتية فى أعقاب فترة من التاريخ كانت مظلمة إلى أبعد الحدود، فترة أسقطت فيها الشيوعية المادية ذات المقولات الجامدة الجوفاء كل اعتبار لحرية الفرد والمجتمع الذى أغرقته فى بحر لجى من آمالها الكاذبة وانحرافاتها وضلالاتها وسلاسلها وقيودها الثقيلة التى كانت تكبل بها الشعوب داخل الاتحاد الروسى وخارجه.

وقد ساعدت فى كل ذلك الحرب الأفغانية الدائرة بين الإيمان المجرد والإلحاد المزيف، هذه الحرب هى التى ساعدت جورباتشوف فى تعزيز مركزه، وحولته إلى بطل قومى مهيب. إذا كان غزو بريجنيف **لأفغانستان** سنة ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) قد حول الدب الروسى بريجنيف إلى عدو للشعوب فإنه قد حول جورباتشوف إلى بطل عالمى، وإلى مجدد قومى، حول الدب الكريه إلى غزال حبيب، وفى نفض اليدين عن **أفغانستان** كان له مكسب آخر لايقل أهمية عن المكسب الأول.

إن الجهاد الأفغانى ضد الروس وأعوانهم فى **أفغانستان** قد أوقد شعلة وهاجة من الثورة والحرية فى قلوب الشعوب فى الاتحاد الروسى، أدى إلى نتيجتين مثمرتين، إعلاء كلمة الحق، وإثبات فشل الإلحاد الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى معقل الشيوعية، عمل الجهاد على إحياء مشاعر الشعوب، وتشتيت الأفكار الشيوعية وإزالتها أو زعزعتها من مكانها فى العقلية الرسمية، أنهى ذلك الترابط الواهى الذى ربطت به الشيوعية هذه الأصقاع المترامية الأطراف.

إنه أثر عظيم من الآثار المؤثرة التى تركتها الحرب الأفغانية على مختلف جوانب الحياة فى روسيا ومنها هذه الانتقالة التاريخية الكبرى التى أعلنها جورباتشوف.. توجيه الانتقادات العنيفة للنهج الشيوعى الذى كان إلى وقت قريب مغلقا للأبواب والأفواه والعيون والأسماع، و لم يتمكن ما نادى به هذا النهج من الإخاء الأممى المزيف أن يقف طويلا أمام الإيمان ونهجه الأفغانى.

طريق السلام فى أفغانستان:

استمر العدوان السوفيتى ٨ سنوات على شعب **أفغانستان** الأعزل الذى واصل نضاله إيمانا منه بعدالة قضيته، وقد بدأ العدوان بالتآمر للقضاء على قادة **أفغانستان** وإقامة حكم شيوعى بقيادة عملاء تم تصفية ثلاثة رؤساء منهم قبل تعيين نجيب الله الرئيس الحالى لأنهم لم يستطيعوا تحقيق هدف السوفيت وهو القضاء على مقاومة شعب **أفغانستان**، ولهذا قررت حكومة السوفيت احتلال **أفغانستان** وغزوها بالقوات المسلحة التى تدعمها الدبابات والمدرعات والطائرات واستخدمت الأسلحة الحديثة والممنوع استخدامها على أمل أن يرهب هذا التدخل

شعب **أفغانستان**، ويقضى على مقاومة المجاهدين، إلا أنهم فشلوا فى تحقيق هذا الهدف، كما أصيبوا بخسائر فادحة فى الأرواح والعتاد، فقد ذكرت وكالات الأنباء أن الاتحاد السوفيتى اعترف أن خساره البشرية فى **أفغانستان** بلغت نحو خمسين ألف جندى منذ بدء الغزو السوفيتى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م (٩ صفر ١٤٠٠هـ) وحتى عام ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ).

وقد أعلن الجنرال الكسى ليزتشيف رئيس الإدارة السياسية للقوات المسلحة السوفيتية وذلك فى ٢٥ مايو ١٩٨٨م (١٠ شوال ١٤٠٨هـ) فى أول إحصائية رسمية سوفيتية دقيقة تصدر حتى الآن أن ١٣ألف و ٣١٠ جنديا لقوا مصرعهم، وأصيب ٣٥ألفا و٤٧٨ جنديا آخرين بالإضافة إلى ٣١١ مفقودا.

لقد أقدم الزعيم السوفيتى مخائيل جورباتشوف على اتخاذ القرار بسحب القوات المسلحة السوفيتية من **أفغانستان** اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٨٨م (٣٠ رمضان ١٤٠٨هـ)، وكان لإذاعة هذا القرار صدى كبير قوبل بالترحيب من كل دول العالم، ولقد قام المستر ديجو كوردوفيز مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة بدور نشيط استغرق عدة سنوات فى محاولة التوصل إلى تسوية سلمية للمشكلة الأفغانية بموجب اتفاق تقره حكومة **أفغانستان** الحالية، وحكومة باكستان التى لم تكن تعترف بالحكومة الأفغانية القائمة والتى اشترطت قبل التوقيع على اتفاق السلام فى جنيف قيام حكومة أفغانية انتقالية محايدة يشترك فيها المجاهدون وتشرف على انسحاب القوات السوفيتية إلا أنها قبلت أخيرا التوقيع على الاتفاقية تحت عدة ضغوط وخاصة من الجانب الأمريكى الذى لم ينجح فى إقناع الجانب السوفيتى بقيام حكومة محايدة تباشر الانسحاب وعودة اللاجئين

الأفغان، وأعلن الرئيس ريجان بأنه لامانع من توقيع الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى كمرحلة أولى لبدء الانسحاب على افتراض أن حكومة نجيب الله سوف تسقط تلقائيا، وعليه فقد تم فى صباح يوم ١٤ إبريل ١٩٨٨م (٢٨ شعبان ١٤٠٨هـ) فى جنيف توقيع وزيرى خارجية أمريكا وروسيا على هذا الاتفاق الذى وصف بأنه أهم حدث عالمى منذ الحرب العالمية الثانية.

إن هناك عدة مشاكل تواجه انسحاب القوات السوفيتية وعودة اللاجئين الخمسة ملايين إلى وطنهم، وأهم هذه المشاكل:

١- صعوبة تحقيق السلام فى **أفغانستان** وذلك بسبب إصرار السوفيت على استمرار قيام حكومة عميلة تنتمى إلى الحزب الشيوعى وتساندها الحكومة السوفيتية ماديا وعسكريا لضمان سيطرتها على مقدرات **أفغانستان** وسياستها الخارجية، وهذا الأمر لم يغب عن المجاهدين الأفغان الذين عاهدوا الله على مواصلة الجهاد إلى أن يستعيدوا حريتهم واستقلال بلادهم وانتمائها إلى دول عدم الانحياز.

٢- تمكين الملايين من المجاهدين واللاجئين من العودة إلى وطنهم واستعادة قراهم ومساكنهم، وهذا يحتاج إلى معاونة كبيرة من الأمم المتحدة والدول الإسلامية، وكما أوضح الأستاذ حسن البنا فى مقاله فى هذا الشأن من أن **أفغانستان** قد أصبحت بعد سنوات الاحتلال غارقة فى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

قد يتحقق السلام المنشود بتلافى المشاكل التى تواجهها **أفغانستان** حاليا بالنظر فى بعض المقترحات الآتية:

أولا: قد يكون من المقبول لدى المجاهدين الأفغان لو أعلن الاتحاد السوفيتى عن عدم تمسكه بفرض حكومة شيوعية موالية بعد إتمام انسحاب القوات السوفيتية من **أفغانستان** لأنه سوف يتسبب فى تمسكه هذا اندلاع حرب أهلية يكون وقودها شعب **أفغانستان**، وأن ما يقع الآن من تعقب بعض فصائل المجاهدين للقوات السوفيتية أثناء انسحابها لهو فى واقعه رد فعل لإعلان السوفيت على استمرار فرض حكومة نجيب الله بالقوة ومدها بالسلاح والعتاد مما يثير الشك لدى المجاهدين فى نيات الحكومة السوفيتية.

ثانيا: انطلاقا مما تقدم فليس من المنتظر أن تتوقف الولايات المتحدة وباكستان عن معاونة المجاهدين طالما أن الاتحاد السوفيتى مستمر فى مد حكومة كابل الحالية بالسلاح والعتاد، وبالتالى لن يتوقف المجاهدون عن الزحف بالقوة على البلاد حتى يتمكنوا من إزاحة الحكومة العميلة الحالية، ثم قيام حكومة غير منحازة يختارها الشعب الأفغانى بمطلق حريته تحقق الأمن والسلام دون أى تدخل خارجى.

ثالثا: قد يكون من المفيد لو تم اتصال بين مندوبين من القيادة السوفيتية وقيادة زعماء المجاهدين بواسطة مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة.

رابعا: إن على الدول الإسلامية واجبا ملحا لمعاونة شعب **أفغانستان** ماديا وسياسيا، وقد يكون من المناسب أن يدعو الأمين العام للمؤتمر الإسلامى إلى عقد

مؤتمر قمة إسلامى لبحث ما يمكن عمله لمواجهة الموقف فى **أفغانستان** بعد انسحاب القوات المسلحة السوفيتية منها.

أحمد فريد أبوشادى

سفير مصر فى أفغانستان سابقا/ جريدة الأهرام.

ندوة إسلام آباد الإسلامية تؤيد جهاد الأفغان لتقرير المصير:

أعلنت الندوة الدولية حول اتفاقيات جنيف ومستقبل **أفغانستان** تأييدها الكامل لقضية المجاهدين الأفغان وحق الشعب الأفغانى فى مواصلة الجهاد المشروع لتقرير مصيره وتشكيل الحكومة التى يختارها بنفسه. أشارت الندوة التى اختتمت أعمالها فى إسلام آباد إلى أن المجاهدين الأفغان يمثلون الطموحات الحقيقية للشعب الأفغانى ودعت كافة الدول وخاصة الدول الإسلامية إلى تقديم العون والدعم والمساندة للشعب الأفغانى وتمكينه من إعادة إعمار **أفغانستان**. كما دعا البيان كافة الدول فى العالم إلى الاعتراف بالحكومة المؤقتة التى شكلها المجاهدون باعتبارها الحكومة الشرعية الوحيدة فى **أفغانستان**.

وحول اتفاقات جنيف التى وقعت بين باكستان والنظام الأفغانى فى شهر إبريل ١٩٨٨م (شعبان ١٤٠٨هـ)، أوضحت الندوة أنه بالرغم من ضعف تلك الاتفاقات فإنها تمثل خطوة نحو حل القضية الأفغانية، وذلك بانسحاب القوات

obeikandl.com

السوفيتية فى إطار جدول زمنى. ودعا البيان إلى إيجاد ظروف السلام داخل **أفغانستان** لتمكين خمسة ملايين لاجئ أفغانى من العودة إلى وطنهم.

ويذكر أن ١٢ مندوبا من الدول الإسلامية من بينها المملكة العربية السعودية شاركوا فى أعمال الندوة التى نظمتها حركة التضامن فى باكستان، وعقدت اجتماعاتها برئاسة الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى.

وفى غضون ذلك صرح دييجو كوردوفيز ممثل الأمم المتحدة المختص بالمشكلة الأفغانية بأنه سيحاول إيجاد حلول للمشاكل التى ظهرت أمام الحل النهائى للقضية الأفغانية بعد التوقيع على اتفاق جنيف الذى تم التوصل إليه فى إبريل سنة ١٩٨٨م (شعبان ١٤٠٨هـ). وقال المبعوث الدولى فى تصريحات للصحفيين لدى وصوله إلى إسلام آباد قادما من طهران فى إطار جولة فى المنطقة، إنه يشعر بالرضا تجاه التقدم الذى تم إحرازه منذ أن تم التوقيع على اتفاق جنيف، ووصفه بأنه يمثل مساهمة مفيدة لإحلال السلام فى **أفغانستان**. وأضاف أنه على أبناء الشعب الأفغانى أن يتخذوا بأنفسهم القرار الخاص بمسألة تشكيل حكومة موسعة دون فرض أى قرار عليهم فى هذا الصدد. ووصف المحادثات التى أجراها فى طهران مع ممثلى المجاهدين الأفغان بأنها كانت مفيدة للغاية، وقال إنه يرغب فى الالتقاء مع قادة المجاهدين الأفغان فى باكستان كذلك رغم أن مثل هذا اللقاء ليس مدرجا فى جدول أعمال جولته الحالية.

وهكذا نجد أنفسنا بعد هذه الدراسة التى استغرقت هذه الفصول والبحوث وتلك الصفحات والسطور عن الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**، والتى عشنا فيها وجها لوجه مع لهيبه ونزيفه، ومع آثاره النضالية، ومواقفه البطولية، نجد أنفسنا إزاء نموذج حى من الجهاد والنضال فى عصره الذهبى، والمجسد لكل ما فىذلك من النضال الإسلامى من جوانب مشرقة، وبطولات يطرب لها قلب المسلم ، ويغتنى بها عقله، ويرتاح إليها ضميره وفكره. حقا، إنها لصورة حية لنموذج من النضال والثورة التى حولت حياة المجاهدين المناضلين العملية إلى تجسيد للعمل الثورى الإسلامى الذى يؤمنون به، كما حولت أفكارهم الثورية الإسلامية إلى مرآة تنعكس فيها حياة الأفغان النضالية الجهادية التى يعيشونها، وهو نموذج نتمنى أن يتحول من خلال هذه الدراسة إلى مركز جذب لمناضلينا الإسلاميين باقتفاء ذلك النموذج وهذا الأثر، والسير على ذلك الدرب الذى سار عليه المسلمون المجاهدون فى **أفغانستان**، وانتهاج ذلك السبيل الذى ينتهجونه فى الدفاع، والهجوم، والكر والفر.

وبالقدر الذى تنجح فيه هذه الدراسة فى بعث تاريخ الأفغان الجهادى، وتقديمه على حقيقته إلى المناضلين والمفكرين، وبقدر مايثيره من فضول المكافحين والمقاتلين لأجل الحرية والنضال فى سبيل الله، بقدر ذلك يكون النجاح الذى ابتغيناه من وراء كتابتها وتأليفها ، ويكون الرضا الذى يسعد به الكاتب من وراء ما يحبر قلمه، ويملى عقله ووجدانه من صفحات.

كلمة الختام:

ولوقائع الجهاد ولطلقاته النارية فى **أفغانستان** بقية، وختام البقية مسك.. إلا أنه خوفا من الإطالة والملل أجلت تسجليها وتقييمها إلى كتاب آخر بعنوان "النصر والانسحاب" أرجو أن يوفقنى الله فى تقديمه إلى القراء مطبوعا لتكتمل الوقائع، وتتم الفائدة بحلقاتها.. ومعروف للجميع أن الأحداث والوقائع فى **أفغانستان** مازالت مستمرة إلى الآن، يتطلب تسجيلها وتأليفها وضع كتاب ثالث ورابع حتى تكتمل حلقاتها وتنسجم. وأبرز ما فى كتاب النصر والانسحاب من مسلسل الأحداث فى **أفغانستان** رحيل البلاشفة بالفشل وخيبة الأمل، وتشكيل حكومة المجاهدين الأفغان، وما يعقب ذلك من الوقائع والأحداث المثيرة.

فالحمد لله الذى وفقنى إلى كتابة هذه الدراسة عن فترة من فترات الجهاد الإسلامى الأفغانى الممتد عبر العصور، ويسرنى التفرغ لبعث تاريخ قادة الحركة الإسلامية فى **أفغانستان**. فله وحده الفضل والمنة، ومنه وحده التوفيق والسداد. وصلى الله على قائد الجهاد الأول، ومؤسس الجيش الإسلامى الأول سيدنا **محمد بن عبد الله** وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الدكتور

محمد أمان خان صافى الأفغانى

السليمانية - جدة

٢٥ رمضان ١٤٠٨هـ/ ٢١ ثور ١٣٦٧هـ ش / ١١ مايو ١٩٨٨م

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجـــع

أولا: المراجع العربية:

١- إبراهيم، محمد عبد الفتاح: الطوابع الثقافية الشعبية فى **أفغانستان**، القاهرة ١٩٦٠م.

٢- أحمد، محمد عبد القادر (الدكتور): المسلمون فى **أفغانستان**، الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.

٣- إسحاق، محمد (المهندس): الوضع الحالى فى وادى بنجشير وحوله، اللجنة السياسية للجمعية الإسلامية الأفغانية، بشاور ١٩٨٥.

٤- الأطباء، نقابة: **أفغانستان** وا إسلاماه.

٥- الأفغانى، جمال الدين:

١- تتمة البيان فى تاريخ الأفغان، دار الأنصار، القاهرة.

٢- الرد على الدهريين (ترجمة عربية) مكتبة السلام العالمية، القاهرة.

٣- العروة الوثقى، القاهرة ١٩٢٧م.

٦- أيوب، حسن: الجهاد والفدائية فى الإسلام، الطبعة الثانية، دار الندوة الجديدة، بيروت ١٩٨٣.

٧- البار، محمد على (الدكتور): **أفغانستان** من الفتح الإسلامى إلى الغزو الروسى، الطبعة الأولى، دار العلم، جدة ١٩٨٥م.

obeikandl.com

٨- بدر، فاروق حامد: تاريخ **أفغانستان** من قبيل الفتح الإسلامى حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب، القاهرة.

٩- بلنت، و.س: (ترجمة دكتور على شلش): الأفغانى ومحمد عبده، دار الهلال، القاهرة ١٩٨٦م.

١٠- جبر، دندل: الشيوعية منشأ ومسلكا، الطبعة الأولى،دار الهجرة، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١١- الجبلاوى، محمد طاهر: جمال الدين الأفغانى (قصة مجاهد كبير)، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.

١٢- الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان**: الشعب الأفغانى فى مواجهة الزلزال الشيوعى والاستعمار الروسى، القاهرة.

١٣- جريشة، على (الدكتور) ومحمود محمد سالم: حاضر العالم الإسلامى، مطابع الدجوى، عابدين، القاهرة ١٩٨٠م.

١٤- الجزائرى، أبو بكر جابر: الجهاد الأفغانى فرصة ذهبية للأمة الإسلامية، القدس الإسلامية، جدة.

١٥- الجمعية التأسيسية، جامعة الشعوب الإسلامية والعربية: الاحتفال بيوم التضامن مع شعب **أفغانستان**، ١٩٨١م.

١٦- جوهر، حسن:(وآخرون): **أفغانستان**.

١٧- حافظ، صلاح الدين: **أفغانستان** الإسلام والثورة، المكتب المصرى الحديث، القاهرة.

obeikandl.com

١٨- حسن، عبد الباسط محمد (الدكتور): جمال الدين الأفغـانى.وأثـره فـى العـالم الإسلامى الحديث، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٢م.
١٩- حسنين، عبد النعيم (الدكتور): حقيقة جمال الدين الأفغـانى، الطبعـة الأولى، دار الوفاء، المنصورة ١٩٨٦م
٢٠- حسين، على صافى (الدكتور): مجاهدون من فلسطين.
٢١- الحصين، أحمد بن عبد العزيز: بشائر الإيمان فى جهاد الأفغـان أوالجهـاد ضـد الإلحاد، الطبعة الأولى، مكتبة البخارى، القصيم بريدة ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.
٢٢- خطاب، محمود شيت: قادة فتح بلاد فارس (إيران) ١٩٧٤م.
٢٣- خليلى، خليل ا لله: ابن بطوطة فى **أفغانستان**، بغداد١٩٧١م.
٢٤- دراز، عصـام: القصـة الداميـة للغـزو الروسـى **لأفغانسـتان**، دار الاعتصـام، القاهرة.
٢٥- رزق، جابر: مذابح الإخوان فى سجون ناصر، دار الاعتصام، القاهرة.
٢٦- الساداتى، أحمد محمود (الدكتور): **أفغانستان** والسيد جمال الديـن الأفغـانى، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨١م
٢٧- السامرائى، نعمان عبد الرزاق (الدكتور): الإسلام والشباب، مكتبة المعارف، الرياض١٩٨٤م.
٢٨- السياف، عبد رب الرسـول: كلمـة الاتحـاد الإسـلامى لمجـاهدى **أفغانسـتان**، مؤتمر القمة الإسلامى الخامس١٩٨٧م.
٢٩- شاكر، محمود:
١- **أفغانستان**، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامى، بيروت١٩٨٠م.

٢- المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، المكتب الإسلامى، بيروت ١٩٨٢م.
٣٠- شامه، محمد (الدكتور): الخطر الشيوعى فى بلاد الإسلام، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٩م.
٣١- شاه، ناصر الدين: **أفغانستان** والغزو الشيوعى، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٣٢- الشرقاوى، محمد عبد المنعم (الدكتور) وآخرون: **أفغانستان**.
٣٣- شلبى، عبد الجليل (الدكتور): الشيوعية والشيوعيون فى ميزان الإسلام، الطبعة الثانية، دار الشرق، القاهرة ١٩٨٦م.
٣٤- صافى: محمد أمان (الدكتور): أفغانيات (خواطر وإبداعات)، الطبعة الأولى، مطابع الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٥م.
٣٥- صالح، حسنى: **أفغانستان** الثورة.
٣٦- صدقى، نعمت: الجهاد فى سبيل الله، الطبعة الثانية، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٧٩م.
٣٧- عبد القدوس، محمد: مع المجاهدين فى قلب **أفغانستان**، دار التوزيع والنشر الإسلامى، القاهرة.
٣٨- عبد اللطيف، محمد فهمى: جمال الدين الأفغانى والوحدة الإسلامية، دار المستقبل، القاهرة.
٣٩- عبد المنعم، محمد: **أفغانستان** لبيك، الطبعة الأولى، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٦م.
٤٠- عرفة، ثريا حافظ: الخراسانيون، الطبعة الأولى، تهامة، جدة ١٩٨٢م.

٤١- عزام، عبد الله (الدكتور):

١- آيات الرحمن فى جهاد الأفغان، الطبعة الثانية، مطبعة كاظم، دبى ١٩٨٥م.

٢- الدفاع عن أراضى المسلمين، الطبعة الأولى، دار المجتمع، جدة ١٩٨٧م.

٣- مجلة الجهاد، أعداد متعددة، دار الجهاد، بشاور.

٤٢- عمارة، محمد (الدكتور):

١- الإسلام والثورة.

٢- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى.

٣- جمال الدين الأفغانى المفترى عليه، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٤م.

٤- جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٤م.

٤٣- عمر، محمد زيان: احتلال **أفغانستان**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

٤٤- غانى، أشرف: **مأساة أفغانستان**.

٤٥- غزال، مصطفى فوزى بن عبد اللطيف: دعوة جمال الدين الأفغانى فى ميزان الإسلام، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض ١٩٨٣م.

٤٦- فؤاد، عز العرب: **أفغانستان** المجاهدة، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٤٧- اللجنة الثقافية، الاتحاد الإسلامى لمجاهدى **أفغانستان**:

١- **أفغانستان**، الكويت.

obeikandl.com

٢- حكم الحل السلمى فى **أفغانستان**، الكويت.
٣- محاولات خفية لتشويه نزاهة الجهاد فى **أفغانستان**، الكويت.
٤- مقالات حول **أفغانستان**، الكويت.
٥- موسكو فى طريقها إلى كابل، ١٤٠٣هـ.
٤٨- لجنة دعم شعب **أفغانستان**: **أفغانستان** بلاد الإسلام، بلجيكا ١٩٨١م.
٤٩- ماجنوس، رالف هـ : مشكلة **أفغانستان** (ترجمة عربية) مكتبة الوعى العربى، الفجالة، القاهرة ١٩٨٥م.
٥٠- مجلة البنيان المرصوص، (أعداد متعددة)، الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**.
٥١- مجلة المجاهدون، (أعداد متعددة)، جمعية **أفغانستان** الإسلامية.
٥٢- مجلة المجتمع، (أعداد متعددة)، الكويت.
٥٣- مجلة المسلم المعاصر ، (أعداد متعددة)، بيروت.
٥٤- مجلة المنهل، (أعداد متعددة)، جدة.
٥٥- محمد، أبو العنين فهمى: **أفغانستان** بين الأمس واليوم، القاهرة.
٥٦- المدرسى، هادى: لا للرأسمالية لا للماركسية نعم للإسلام، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨١م
٥٧- المرداوى، محمود: **أفغانستان** والاجتياح الروسى، شركة الشعاع للنشر، الكويت.
٥٨- المير، عبد الله محمد: **أفغانستان** تاريخ وأحداث.
٥٩- النحوى، عدنان على رضا (الدكتور): ملحمة الجهاد الأفغانى، الطبعة الأولى، دار النحوى، الرياض ١٩٨٨م.

٦٠- نوشاد، غلام نبى: الجهاد فى **أفغانستان**، الطبعة الأولى، جدة ١٩٨٥م.
٦١- هاليداى، فريد: **أفغانستان** حرب أم ثورة (ترجمة عربية)، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٠م.
٦٢- هويدى، فهمى: حدث فى **أفغانستان**.
٦٣- وجدان، محمد شفيق: **أفغانستان** قلب آسيا النابض، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٦م.
٦٤- ولسن، اندو: فى قلب **أفغانستان** (ترجمة عربية).

ثانيا: المراجع الأفغانية:

٦٥- إسحاق، محمد (مهندس): أوضاع سياسى **أفغانستان**، من نشرات جمعية **أفغانستان** الإسلامية، سنة ١٣٥٩هـ ش.
٦٦- حبيبى، عبد الحى (بوهاند): جنبش مشروطيت در **أفغانستان**، كابل ١٣٦٣هـ ش.
٦٧- حق شناس، س ن (دكتور): دسائس روس در **أفغانستان**، من نشرات جمعية **أفغانستان** الإسلامية، طهران ١٣٦٣هـ ش.
٦٨- خليلى، خليل الله: سلطنت غزنويان، د كابل عمومى مطبعه، كابل ١٣٣٣هـ ش.
٦٩- د آزاد **أفغانستان** د ليكوالو تولنه: خبلواكى (مجلة)، العدد الأول، ١٣٦٤هـ ش.

obeikandl.com

٧٠- د **أفغانستان** د إسلامی جمعیت فرهنکی کومیته: د شهید زَیْرَیْ (مجلة) ١٣٦٠هـ ش.

٧١- د **أفغانستان** إسلامی جمعیت: میثاق خون (مجلة)، العدد الأول، والعاشر، والحادی عشر، ١٣٦٦هـ ش.

٧٢-رشتیا، سید قاسم: **أفغانستان** در قرن نوزده، دولتی مطبعه، کابل ١٣٣٦ هـ ش

٧٣- شاه، بیر معظم: تواریخ حافظ رحمت خانی، بشتو اکیدیمی، بشاور یونیورستی، بشاور ١٩٧٦م.

٧٤- شهاب، شهاب الدین: ظاهر شاه رازی، د **أفغانستان** د مجاهدینو إسلامی اتحاد ١٣٦٢هـ ش.

٧٥- لبیب، محمد إسماعیل: قهرمان شهید ذبیح الله، نشرات جمعیت إسلامی **أفغانستان**.

٧٦- وزارة الشئون الخارجیة الأفغانیة: مناسبات **أفغانستان** واتحاد شوروی، دولتی مطبعه، کابل.

obeikandl.com